أ.د. عبد الكريم بكار

بية الرشيدة ٤

المراهق

«كيف نفهمه، وكيف نوجهه ؟»



...لات التي نواجهها في تربية ...ست كبيرة ، لكنها مستفزة ومزعجة.

● شيءٌ جيد أن ندرك أننا لسنا آباء مثاليين، ولا نشكل قدوة كاملة لأبنائنا.

● إذا أردنا أن نفهم طبيعة المراهقة والمشكلات التي يمر بها المراهقون، فلنتذكر أنفسنا لما كنا في مثل أعمارهم.



المراهق

«كيف نفهمه، وكيف نوجهه ؟»

أ. د. عبدالكريم بكار

المراهق

«كيف نفهمه، وكيف نوجهه ؟»

أ. د. عبدالكريم بكار

الطبعة الثالثة

1432 هـ - 2011

ح/ دار وجوه للنشر والتوزيع ١٤٣٠هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
بكار، عبد الكريم محمد الحسن
المراهق كيف نفهمه وكيف نوجهه . عبد الكريم محمد الحسن بكار
الرياض، ١٤٣٠هـ. ٧١ ص؛ سم
ردمك: ٠-٠٢-٨٠٦٥-٦٠٣-٩٧٨
١- المراهقة ٢- علم النفس النمو أ. العنوان.
ديوي ٥, ١٥٥ ١٤٣٠ /٨٣٣٣
رقم الإيداع: ٨٣٣٣/ ١٤٣٠
ردمك: ٠-٠٢-٨٠٦٥-٦٠٣-٩٧٨

التنفيذ الفني والنشر والتوزيع



دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojooh Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
ت: 4918198 فاكس: تحويلة 108
للتواصل والنشر:
wojoooh@hotmail.com



مؤسسة الإسلام اليوم
إدارة الإنتاج والنشر
المملكة العربية السعودية الرياض
ص.ب. 28577 الرمز : 11447
هاتف : 012081920
فاكس : 012081902
info@islamtoday.net
www.islamtoday.net



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فهذا هو الجزء الرابع من سلسلة (التربية الرشيدة) وقد كان الجزء الأول بعنوان (مسار الأسرة) تحدثت فيه عن أهم المبادئ والمفاهيم التي ترسم مسار الأسرة المسلمة ، وتوضح لها خريطة الطريق التي عليها أن تسلكه .

أما الجزء الثاني، فقد كان عنوانه : (القواعد العشر) وقد شرحت فيه أهم عشر قواعد في تربية الأبناء؛ مثل التوازن والوضوح والعقاب .... وأما الجزء الثالث فعنوانه (التواصل الأسري) وهو مخصص للحديث عن أشكال الحوار بين أفراد الأسرة وعن أساليب التواصل بينهم . وقد تُلقيت هذه الأجزاء من السلسلة بحماسة ظاهرة من لدن القراء الكرام حيث تمَّ طبع ما يزيد على خمسة عشر ألف نسخة من كل جزء من أجزائها خلال سبعة أشهر، ولله الحمد والمنة أولاً وآخراً .



وأما هذا الجزء فمخصص للحديث عن المراهقة والمراهقين والمراهقات، ومع أن كثيراً من سلوكنا التربوي الذي سلكناه مع ابن الخامسة ينبغي أن نسلكه مع ابن الخامسة عشرة إلا أن مرحلة المراهقة بما لها من خصوصية ، وبما يثور فيها من عواصف عاتية تستحق فعلاً معالجة خاصة . إن المراهقة تعني المقاربة ، والمراهق هو الطفل الذي قارب البلوغ ، وعلماء النفس والتربية يقسمون مرحلة المراهقة إلى ثلاث مراحل : مبكرة ومتوسطة ومتأخرة ، والمراهقة المبكرة تبدأ في الثانية عشرة أو الثالثة عشرة ، أما المتوسطة فإنها تبدأ في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ، وتأتي بعدها مرحلة المراهقة المتأخرة، وهذه تمتد إلى سن الحادية أو الثانية والعشرين ، وبعدها تكون مرحلة الشباب ، وهذا يعني باختصار أن مراحل المراهقة تقابل مراحل الدراسة في المدارس المتوسطة والثانوية والجامعات.ولا بد من القول : إن هذا التحديد لمدة المراهقة تقريبي ، لأنه مبني على أسس غير موحَّدة وغير ملموسة بالقدر الكافي ، لكنه مع افتقاره إلى الدقة صحيح على نحو عام.

وإني لأعجب من بعض الباحثين الذين يحاولون إثبات تجاهل التعاليم الإسلامية للمراهقة ، ووصم الدراسات التي تتعلق بالمراهقة والمراهقين بنوع من السفه أو مجافاة الحقيقة ، ويستدلون على توجههم هذا بأن الطفل إذا بلغ صار مكلفاً بالأحكام الشرعية، وهذا يدل على وعيه وفهمه وشعوره بالمسؤولية ، ولا شك أن هذا الاستدلال في غير محله، فالمراهق إنسان عاقل ومدرك للفضائل ، وفي ذهنه فصل لا بأس به بين الحق والباطل والخير والشر ، لكن سيطرته على نفسه ونوازعه وانسجامه مع

مجتمعه ، وإدراكه لمصالحه .... كل ذلك ناقص، وحين يبلغ سن الثامنة عشرة يكون قد قطع معظم مرحلة المراهقة ، ويكون قد دخل في عداد الراشدين ، مما يجعل سلوكه يقترب رويداً رويداً من سلوك الكبار.

إن الواقع المعيش يدل بقوة على أن مرحلة المراهقة هي مرحلة متوسطة بين الطفولة والنضج ، وإن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين عدَّد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال : ((وشاب نشأ في عبادة الله)) والسبعة الذين ذكرهم قاموا بأعمال عظيمة ومتميزة ، وهكذا الشاب المستقيم الطائع يقوم بعمل عظيم لأنه ينتصر على كثير من الشهوات والنوازع السيئة ، وقد ورد في بعض الأحاديث ما هو أكثر تحديداً من هذا حيث روي عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : ((عَجِب ربك لشاب ليس له صبوة)) وأنه قال : ((الشباب شعبة من الجنون)) [1] .

وأود أن أشير هنا إلى الآتي :

١ ـ لو تأملنا في المشكلات التي نواجهها مع المراهقين والمراهقات من أولادنا ، لوجدنا أنها في الغالب ليست كبيرة بقدر ما هي مستفزة ومزعجة ، فالطفل الوديع الذي كان يُلقي بنفسه في حضن والدته يحبو الآن نحو الرشد والاستقلال ، وهو سيرفض الكثير من الأمور الجيدة والمنطقية حتى يؤكد لنفسه ولغيره بأنه قد كبر ، وصارت له

....

(١) الحديثان ضعيفان ، ومن أهل العلم من حكم عليهما بالحسن.

رؤيته الشخصية.

٢ـ نحن نرى مشكلات المراهقين كبيرة لأننا قريبون جداً منهم ، والعجيب أن كثيراً من الناس يعتقدون أن أبناء الآخرين أفضل من أبنائهم ، وما ذلك إلا لأنهم يرون أولادهم من قرب ، ويرون أبناء غيرهم من بعد ، ولو اقتربوا منهم أكثر ، لتغير الحكم لديهم .

٣ ـ كثير من غضب الآباء من أبنائهم يعود إلى حرصهم الشديد عليهم ، إنهم يريدون لهم أن يكونوا أفضل الناس وأنجح الناس، وإن الآباء يريدون حماية أبنائهم من الأخطاء التي وقعوا فيها حين كانوا في مثل أعمارهم ، وأنا أقول لهم لن تستطيعوا ذلك ، كل شيء سيبلغ مداه ، وسيقع الصغار في معظم الأخطاء التي وقع فيها الكبار ، وسيظل المراهق يتعلم من أخطائه أكثر مما يتعلمه من توجيهات أهله ونصائحهم ، هذا ما يخبرنا به التاريخ ، وليس في هذا دعوة إلى عدم الاكتراث ، وإنما المقصود تخفيض درجة الشعور بالمرارة لدى الآباء، والتعامل مع الأمور بسعة صدر وحكمة ، نعم يستطيع الواحد منا أن يتواصل مع أبنائه أكثر ، ويستمع إليهم باهتمام أكبر ، ويهيئ لهم بيئة أفضل .

٤ـ شيء جيد أن ندرك أننا لسنا آباء مثاليين، فنحن لسنا قدوة كاملة لأبنائنا في كل شيء، إننا نغضب أحياناً من غير سبب واضح، ونشك أحياناً من غير داع، ونسيء الفهم والتفسير لكثير من تصرفات الأبناء ... ولهذا فإن التوتر الموجود في كثير من البيوت ليس بسبب سوء تصرف الأبناء فحسب، فالكبار يتحملون

مسؤولية جزء منه .

٥ ـ إذا أراد الواحد منا أن يتقبل الكثير من تصرفات الأبناء ، أو يتعايش معها فإن عليه أن يتذكر أمرين :

الأول :

أن يتذكر مرحلة المراهقة التي مر بها، وأن يتذكر الأخطاء التي بدرت منه فيها ، فهذا يساعده على أن يتفهم أسباب ما يحدث ، وأن يُبدي حياله نوعاً من التسامح .

الثاني :

هو أن ما يفعله المراهقون مؤقت ، وسوف يتحسن كل شيء مع مرور الزمن ، وإذا تذكر الواحد منا تاريخه الشخصي ، فسوف يلاحظ أنه لما كان في السابعة عشرة كان ينتقد نفسه على كثير من تصرفاته السابقة، ويلوم نفسه عليها ، ويستحي منها ، وما ذاك إلا لأنه كان يمضي في طريق النضج .

٦ـ تصوِّر وسائل الإعلام المراهقين على أنهم أشخاص متمردون على المجتمع وغريبو الأطوار ، وكأنهم من عالم آخر ، وهذا يجعل الفجوة كبيرة بين المراهق وغيره ، ويدفع به إلى الشعور بأنه في معركة ضد أهله ومجتمعه ، وأن عليه أن يربح تلك المعركة ... المراهق جزء من مجتمعه ، ولديه الكثير من الخير والبراءة والطيب ، لكنه يمر بمرحلة خاصة تجعل التفاهم بينه وبين الكبار صعباً.



إنني حريص جداً على أن أوصل إلى قرائي الأعزاء أكبر قدر من الأفكار والمفاهيم والمبادئ الراقية والمهمة بأيسر أسلوب وأوضح تناول ممكن ، وإني لأسأل الله الرحيم الكريم أن يعينني على ذلك، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون .

أ. د. عبد الكريم بكار
في ١٧ / ٩ / ١٤٣٠



المراهقة : فهم أفضل

من الواضح لدينا جميعاً أن المراهقة مرحلة من مراحل عديدة يمر بها الإنسان ، وما دامت مرحلة ، فهي إذن مؤقتة ، وشيء مهم جداً أن ننظر إليها هذه النظرة ؛ لأن ذلك يزوِّدنا بطاقة عظيمة على التحمل ، كما يزوِّدنا بالأمل والترقب لما هو أفضل .

المراهقون يشكون في معظم الأحيان من سوء فهم الكبار لهم ، وكثيراً ما يعبِّرون عن الشعور بالظلم وعدم نيلهم لحقوقهم ، والآباء والأمهات يشكون من الرعونات التي تظهر من أبنائهم المراهقين ومن الأذى الذي يسببونه لسمعة العائلة .... الكبار إذن يشكون والصغار أيضاً يشكون؛ والحل واحد، وهو يكمن في أفضل معرفة ممكنة لمرحلة المراهقة والتغيرات التي تطرأ فيها على شخصية المراهق.

إن الآباء حين يكسبون الخبرة الجيدة بطبيعة هذه المرحلة يصبح تعاملهم مع أولادهم أفضل وأرشد ، ويجدون لديهم النصيحة المناسبة التي يمكن أن يقدموها لهم ، وحين يملك الفتيان والفتيات الرؤية الجيدة لأنفسهم وللظروف والأوضاع التي يمرون بها، فإنهم يقدِّمون أنفسهم لأهليهم بشكل أوضح ،وإن لدينا حقيقة ثابتة في هذا الشأن ،و هي أن فهم المرء لنفسه شرط لفهم الآخرين له ، كما أن

تحسن خبرة المراهق بنفسه تجعل استجابته لرغبات أهله ونصائحهم أفضل ، هذا يعني أن الكبار والصغار في أمسِّ الحاجة إلى التثقف والاطلاع على ما خطَّته أقلام علماء النفس والتربيّة حول المراهقة والمراهقين ، ولعلي أسوق على نحو موجز وسريع ملامح ما توصَّلوا إليه على النحو الآتي :

١ـ المراهقون : فروق فردية :

المراهق عضو في أسرة وفي مجتمع ، وهو طالب في المدرسة ، أو يعمل في مؤسسة أو مهنة ... ومن هنا فإن تجليات مرحلة المراهقة ومفرزاتها ومقتضاياتها في سلوكيات المراهقين لن تكون واحدة، فحين يظفر المراهق بأسرة ممتازة وأصدقاء جيدين ، فإن لنا أن نتوقع له مروراً سَلساً بهذه المرحلة ، وقد رأينا فعلاً مراهقين رائعين في انسجامهم مع أسرهم وفي نجاحهم في مدارسهم وفي تدينهم وصلاحهم ، وسيكون الأمر مختلفاً جداً لو وجد المراهق نفسه يتعامل مع أب يميل إلى الشك، وأم سريعة الغضب أو مثالية جداً ، أو وجد نفسه وقد وقع في شباك أصحاب سيئين يزيِّنون له الشغب والانحراف و التمرد ...

ما الذي يعنيه هذا؟

إنه يعني شيئين أساسيين :

الأول : هو أن في إمكان الأهل دائماً مساعدة أبنائهم على عبور هذه المرحلة بسلام وأمان .

الثاني : هو أن المراهق كثيراً ما يكون ضحية لتقصير أهله أو انحراف

بيئته في المدرسة أو الحي أو العمل ، وهذا يعني أن الكبار يتحملون بمعنى من المعاني شيئاً من المسؤولية عن مشكلات المراهقين وعن العمل على إصلاح أوضاعهم .

٢ـ لماذا كانت مرحلة المراهقة صعبة ؟

المراهقة مرحلة انتقالية ، ومن شأن المراحل الانتقالية الاضطراب والغموض ، ومن الواضح أن الطفل في أول سنوات المراهقة يكون مشغولاً بالتخلص من قيود الطفولة وتصورات وسلوكيات الأطفال ، وحين يبلغ السادسة عشرة أو السابعة عشرة ، فإنه يشرع في التخلص من تقلبات المراهقة حيث يبدأ بإدراك الوضعية الفضلى التي ينبغي أن يكون عليها .

وقد أشار عدد من الدراسات التي أجريت على المراهقين إلى شيئين مهمين:

الأول : هو أن الغدد في أجسام الفتيان والفتيات تفرز في هذه المرحلة مقادير عالية من الهرمونات ، تؤدي إلى تفاعلات مزاجية كبيرة وشديدة ، وهذه التفاعلات تتبدى في شكل غضب وإثارة وحدَّة طبع عند الذكور ، وفي شكل غضب واكتئاب عند الإناث .

الثاني : هو أن المخ عند المراهق يستمر في النمو ، وقد ظهر أن المنطقة المسؤولة عن العاطفة تبلغ مرحلة النضج بسرعة أكبر من سرعة نضج المنطقة المسؤولة عن التفكير العقلاني ، وهذا يجعل المراهق يميل إلى المغامرة والمخاطرة ، ويولِّد لديه نوعاً من الاضطراب

العاطفي . هذا كله يعني أن المراهق كثيراً ما يجد نفسه أسيراً للتغيرات التي تحدث في داخله مما يرتب علينا نوعاً من إعذاره ، ونوعاً من مساندته ومعاونته حتى يجتاز هذه المرحلة بسلام .

٣ـ ارتباك المراهق :

الارتباك والحيرة هما الطابع الأساسي الذي يطبع الحالة النفسية والعقلية للمراهق، فهو يجد نفسه وقد أصبح على نحو مفاجئ في عداد البالغين ، وهذا يثير في نفسه فيضاً من الأسئلة حول مدى ما يتمتع به من كفاءة وصلاحية لبناء أسرة جيدة ، ومع أن العاطفة والغريزة مشتعلة في نفسه وجسمه يشعر أنه تابع للبيئة التي يعيش فيها ، كما يشعر أن تجربته في كل شيء محدودة ، أما طموحات المراهق فهي واسعة جداً ، لكنه عاجز عن تحديد ما يريده ، إنه يتصرف في كثير من الأحيان كما يتصرف الأطفال ، ويريد من الكبار أن يعاملوه على أنه رجل ، وهذا يثير لدى الأبوين الكثير من الإزعاج والإشفاق ، إن المراهق ليس طفلاً صغيراً ، ولهذا فإنه لا يستفيد من ميزات الأطفال ، ولا يستمتع بالحنان الذي يظفرون به ، وهو ليس كبيراً حتى يستثمر المزايا التي يستمتع بها الكبار ، إنه يحلم ويحلم وبعد حين يشعر أنه يتعامل مع واقع مغاير تماماً لما يتمناه !.

٤ـ مثالية المراهقين :

لدى المراهقين والمراهقات كثير من النقاء والبراءة تتجسد في نهاية الأمر في (النظرة المثالية) للحياة والأحياء ، إن المراهق يقرأ في المناهج المدرسية عن النظافة واللياقة الاجتماعية ، ويقرأ عن الصدق

والاستقامة والتوفير وحسن التدبير وفضائل أخرى كثيرة من هذا النوع ، ويتجاوب مع ما يقرأ عقلياً وعاطفياً، ومن ثم فإنه يكون حاداً في نقده لكل المواقف والتصرفات التي تخرج على ما يعدُّه فضيلة من الفضائل ، أحد الفتيان كان جالساً على مائدة الطعام مع أهله ، فتغيرت ملامح وجهه ، وظهر عليه الانزعاج الشديد ، واستغرب الأب من ذلك لأنه لم ير شيئاً غير طبيعي ، وحين سأل ابنه عن سبب انزعاجه رفض أن يجيب في البداية ، وبعد الإلحاح قال: إن أخاه الكبير يأكل بسرعة ، وهذا ينافي آداب الطعام !

إحدى الفتيات أغلقت باب غرفتها عليها بغضب شديد ، وأخذت في البكاء ، وذلك لأن أخاها قال لها بصوت مرتفع: عليك أن تنهي مكالمتك مع زميلتك فوراً لأنني في حاجة إلى الهاتف ، وتقول : إن زميلتي سمعت ذلك ، واستغربت من أسلوب خطاب أخي لي !

فتاة أخرى رفعت صوتها على والدتها بسبب أنها استقبلت إحدى صديقات الفتاة بثياب المطبخ مما يشكِّل خروجاً على آداب استقبال الضيوف ...

أحياناً تتجاوز مثالية المراهقين وانتقاداتهم كل الحدود ، وذلك حين يتنكرون لجهود الأهل في خدمتهم والإنفاق عليهم ،فقد حدث أن احتاج أحدهم وعلى نحو طارئ إلى مبلغ كبير من المال ، وحين طلبه من والده ، قال له والده : المبلغ غير متوافر الآن ، وعليك أن تنتظر يومين ، هنا صرخ المراهق في وجه أبيه :

كنتُ قد قلت لك: إنني قد أحتاج إلى المبلغ فجأة ، وقلتَ لي: في أي وقت تطلبه سيكون حاضراً ....؟ ! .

لا نبالغ إذا قلنا : إن جزءاً كبيراً من مشاكسات المراهقين مع أهليهم

وأساتذتهم ، يعود إلى ما لديهم من مثالية زائدة وفهم متخشب للأمور، هذه الوضعية تعود إلى أن المراهق لا يستطيع رؤية الفجوة التي تفصل بين النظرية والتطبيق، فهو لا يعرف مدلولات الكلمة على نحو دقيق، ولا يعرف الوقع الاجتماعي للكلمات ، كما لا يعرف الظروف والاعتبارات التي تحمل الناس حملاً على أن يقفوا بعض المواقف ، ويسلكوا بعض السلوكيات التي لا تتفق بشكل حرفي أو جيد مع ما هو موجود في الكتب من أدبيات وأخلاقيات، كما أن المراهق يميل بطبعه إلى الشعور الشديد بالخطر ، فهو يظن أنه إذا أخفق في مقابلة ،أو ظهر بمظهر غير لائق في موقف معين ، أو تكلم بكلمة غير مناسبة مع أحد الناس ... يظن أن ذلك يضع كل شيء على حافة الانهيار، وذلك لأنه يمنح الأشياء أهمية مطلقة، وهذا بسبب عدم استطاعته رؤية الأشياء على أنها جزء من منظومات كبيرة، ومن ثم فإن أهميتها تكون نسبية . مثالية المراهق لا تدفعه إلى نقد غيره بحدَّة فحسب ، وإنما تولِّد لديه قدراً كبيراً من الشعور بالخوف والقلق ، كما أنها تدفعه إلى أن يكون عنيفاً تجاه نفسه ، فهو لا ينسى بسهولة أخطاءه، كما أنه لا ينسى أخطاء غيره معه .

باختصار أقول : إن عدم نضج الجانب العقلي والشعوري لدى المراهق بشكل كافٍ هو الذي يولِّد في نفسه هذا القدر الكبير من المثالية ، على أن مثالية المراهق لا تخلو من فائدة؛ لأنها تنبه الأسرة والمجتمع إلى الكثير من الأخطاء السائدة ، كما أنها تفتح وعي المراهق على رؤية ما لدى الناس من خير وشر ، وصواب وخطأ ، وهذا يؤهله لدرجة حسنة من الرشد الاجتماعي في المستقبل.

٥ـ المراهق هو المراهق :

لدى معظم الناس شعور قويّ بأن مراهقي زمانهم هم الأسوأ ، أما مراهقو الأجيال السابقة، فهناك انطباع عام بأنهم أهدأ وأكثر تحملاً للمسؤولية ، ومشاكساتهم لأهليهم أقل ، وهذا يجعل موقفهم من المراهقين يتسم بالحدة والشكوى . وأنا أحب أن أقول :إن الأسباب التي تجعل تصرفات المراهقين غريبة وموضع استنكار ، هي نفسها في كل زمان ومكان ـ كما أشرت سابقاً ـ لكن الأوضاع الاجتماعية هي التي تختلف من جيل إلى جيل ، في الماضي كان الناس يعيشون في قرى صغيرة وكان الأقرباء كثيراً ما يسكنون في حي واحد ، كما أن احترام كبار السن كان من الأسس الاجتماعية الراسخة ، أضف إلى هذا أن خوف الناس من الفضيحة كان أكبر مما هو عليه اليوم، وكانت مساحة الحرية الشخصية أضيق ، كل هذه المعطيات والحيثيات تجعل الفرصة أمام ظهور أخطاء المراهقين أقل ، أي تجعل ظاهر كثير من المراهقين خيراً من باطنهم ، ولا نستطيع أن نتجاهل دور وسائل الإعلام اليوم في التركيز على أخطاء المراهقين ، وإبرازها ، فإذا ضرب أحد المراهقين معلِّمه ، أو غشَّ في الامتحان بطريقة مبتكرة ... فإن الإعلام ينشر ذلك على أنه وباء اجتاح كل المراهقين ، وكثيراً ما يكون الأمر مغايراً لذلك . السؤال الجوهري هو : هل كان المراهقون في بيئاتنا العربية قبل مئة سنة أتقى لله وأكثر استقامة من مراهقي هذا الزمان ؟ الجواب فيما يغلب على ظني أنهم لم يكونوا أتقى ولا أنقى، ففي فتياتنا وفتياننا اليوم أعداد كبيرة يقومون الليل ، ويقرؤون القرآن،، ويبادرون إلى الخير .

٦ـ الرغبة في الاستقلال :

جعل الله - عز وجل - المراهقة مرحلة انتقالية بين الطفولة والرشد، ولهذا فإن أحد مفاتيح فهم شخصية المراهق يتمثل في إدراك الأنشطة والمواقف التي يحاول المراهق من خلالها أن يُثبت لنفسه ولمن حوله بأنه جدير بالاحترام ، وجدير بأن يعامَل على أنه شخص كامل الأهلية وذو رأي ناضج ومعبر عن خبرة وتجربة.... مساعي المراهق للاستقلال كثيراً ما تتجلى في مجادلة والديه وإخوته في أمور تافهة وصغيرة ، وهو حين يجادل لا يشك في أن رأيه صواب ، وأن رأي غيره خاطئ مئة في المئة . في يوم من الأيام دخل أحد المراهقين إلى بيت أهله وهو غاضب ، وحين سألته والدته عن سبب غضبه أبى أن يتكلم ، وبعد إلحاح شديد قال: إن خالي أهانني إهانة شديدة ، وذلك أني ألقيت عليه السلام مرتين، ولم يرد عليّ ، وأخذ الفتى يتحدث بصوت مرتفع مع شيء من الهياج عن أن رد السلام واجب ، ولو كان الذي يلقي السلام صغير السن ، ثم شرع يذكر لوالدته سبب عدم رد خاله للسلام ، وأنه يكمن في أن علاقته ـ أي الخال ـ مع أبيه ليست جيدة بسبب نزاع على ملكية إحدى الأراضي ، فأحب أن يتجاهله ، ويُعرِض عنه ، وقد حاولت والدته إقناعه بأن ذلك لم يكن مقصوداً، وأن خاله لم يسمع بالتأكيد سلامه ، لكن الفتى كان يرفض ذلك بشدة، ويرد على والدته كل كلمة تقولها ، وكل احتمال تسوقه، قالت والدته: سوف أسأل خالك عن هذا، وأحاول فهم أسباب ما جرى، وكان رد الفتى : أن لا فائدة من ذلك لأن خاله لن يقول الحقيقة ! وحين سألت الأم أخاها عن ذلك أقسم يميناً مغلَّظة أنه

لم ير ابن أخته ، ولم يسمع تسليمه، وأنه كان وقت مرور ابن أخته في حالة سيئة جداً بسبب ما سمعه عن طلاق ابنته من زوجها... ومع هذا فإن الفتى لم يقتنع !

إن الطفل يقول : أنت ، وإن المراهق : يقول : أنا ، أما الراشد، فإنه يقول : نحن ، هكذا هي مرحلة المراهقة إنها مرحلة اعتزاز بالذات وبناء للاستقلالية ، لكن هذا مؤقت ، وحين يكبر المراهق، ويدخل في مرحلة الشباب، فإن الحس الجماعي سينمو لديه، ومع نموه سوف يتعلم كيف يتقبل الآخرين ، وكيف يعذرهم ، وكيف يعايشهم. في بعض الأحيان يتجلى سعي المراهق إلى الاستقلال في إغلاق باب غرفته عليه دون أي سبب يدعو إلى ذلك، إنه يريد أن يؤكِّد أن هذه المساحة من المنزل له وحده ، ولاينبغي اقتحامها إلا بإذنه ، لكن الأهل يستنكرون ذلك أشد الاستنكار ، وكثيراً مايثيرذلك في نفوسهم الشك والريبة ، ولهذا فإنهم يحذّرونه مئات المرات من إقفال الباب على نفسه ، وهو مصرٌّ على القيام بذلك من أجل توكيد معنى الخصوصية والانعتاق من التبعية.

كثرة الخروج من المنزل تعبير آخر عن الاستقلال ، فالمراهق يدرك أنه مادام داخل المنزل ، فإن عليه أن يتلقى الأوامر ، ويسمع ، ويطيع ويرضخ لسلطة الكبار في المنزل ، أي أن استقلاله وهو في بيته يكون دائماً منقوصاً. ويكثر خروج المراهقين من منازلهم في أيام الإجازات ، حيث لا يكون للبقاء في المنزل أي معنى، وقد كانت إحدى الأمهات تداعب ابنها إذا عاد من اللعب مع أصدقائه بقولها : لا بد أنك الآن جائع ، ولولا ذلك لما عدتَ إلى المنزل !.

٧ـ البحث عن مجموعة ينتمي إليها:

يشعر المراهق بأنه ينتمي إلى جيل مختلف عن جيل أبويه ، وهذا الشعور عميق جداً لدى كثير من المراهقين، وهم قد لا يدركون ذلك لكنهم يعبِّرون عنه بأساليب مختلفة ، منها التلميح بأن آباءهم وأمهاتهم تقليديون وحرفيون ومحافظون أكثر من اللزوم، وهذا الشعور لديهم هو نتيجة لاعتقادهم أن أهليهم لا يعرفون روح العصر، ولا يستوعبون متطلباته على نحو كاف ، وهكذا نجد أن بعض المراهقين يرفعون صوت المذياع وهم يستمعون إلى موسيقا صاخبة، أو يتجمهرون في زاوية أحد الشوارع وهم يضحكون بصوت مرتفع ، وحين يأتي من ينكر عليهم ما يفعلونه يستغربون ذلك منه ويتهامسون بضرورة التسامح معه لأنه لا يعرف التغيير الذي طرأ على الحياة والأحياء ! حين يشعر المراهق بأنه ينتمي إلى جيل مختلف عن جيل أبويه ، فإن هذا لا يعني أبداً أنه لا يقدِّر أبويه ، ولا يكنُّ لهما الكثير من الحب والاحترام ، فهو يعذرهما في مواقفهما، ولا سيما إذا كان فارق السن بينه وبين أبيه يصل إلى أربعين أو خمسين عاماً ، لكن شعور المراهق بوجود فجوة تفصله عن أبويه، يدفعه إلى البحث عن أصدقاء يشعر أنهم يشاركونه رؤيته للحياة ومشاعره حول أحداثها ومتطلباتها ، وهكذا نجد أن للمراهقين مجموعات من الأصدقاء الذين يتعرفون عليهم في المدرسة والحي وفي المناسبات الاجتماعية التي تجمعهم مع بعض أقربائهم وأبناء أصدقاء آبائهم ، فما ملامح علاقة المراهق بأصدقائه ؟

أ ـ يشعر المراهق حين يلتقي بصديقه أو أصدقائه أنه يجالس من يفهمه حق الفهم ، ومن يعاني من جنس ما يعانيه ، ولهذا فإنه يكون معه على

طبيعته ، ويكشف له عن أسراره الشخصية ، وقد يحدِّثه عن بعض أسرار أسرته ، بل قد ينتقد أباه أو أمه أمامه ، كما أنه يكون أقل تهذيباً وانضباطاً في استخدام اللغة .

ب ـ يحاول المراهقون باستمرار اصطناع المناسبات للقاء بعضهم بعضاً ، فهذا احتفال وتقديم للهدايا بمناسبة نجاح فلان ، وهذا لقاء من أجل مذاكرة الدروس بشكل جماعي ، وهذا اجتماع للسلام على الصديق الفلاني القادم من سفر، وهكذا لا يكاد ينقضي لقاء حتى يتم الترتيب للقاء آخر وأحياناً تتطور هذه اللقاءات ، وتصبح محفوفة بالمخاطر ، وذلك حين ينام المراهقون بعضهم في بيوت بعض ، أو حين يرتبون للذهاب إلى خارج البلد في رحلات تستمر أياماً .

ج ـ جرت عادة المراهقين بمناصرة بعضهم بعضاً، حيث تجد أن الواحد منهم يدافع عن أصدقائه في كل الأحوال ، وإذا أخطأ المراهق وجد في أصدقائه من يعذره ويؤوِّل خطأه ، ويهوِّن منه ، وهم يلتزمون بذلك، وكأنه جزء من ميثاق أجمعوا عليه ، وهذه المناصرة هي جزء من مساعيهم في تأمين المشروعية لاستمرار لقاءاتهم ، لأن نقد المراهق لصديقه سيحفز أهله على أن يطلبوا منه الابتعاد عنه ، وهذا ما لا يريده ، وكثيراً ما تتجلى مناصرة المراهقين بعضهم لبعض في التكتم على تحركاتهم وأخبارهم ، حيث إن كثيراً من المراهقين لا يرتاحون للحديث عن أصدقائهم أمام أهليهم ، بل لا يرتاحون لمعرفة الأهل بأسماء أولئك الأصدقاء أو أماكن سكناهم ، وذلك لأن المراهق كثيراً ما يخاف من أن يقوم واحد من أهله بسؤال أصدقائه عنه ، إن هذا

يعني أنه مستضعَف وغير موثوق ، كما يعني أنه ما زال تابعاً لغيره ، وهذا شيء يقاومه المراهقون بشدة .

د - يُجري المراهقون الكثير من المكالمات الطويلة فيما بينهم ، ويرون في المكالمات بديلاً جيداً عند تعذر اللقاء المباشر ، وكم شكا الآباء والأمهات من أن أولادهم لا يدعون هاتف المنزل يهدأ، وصارت العملية أسهل بعد انتشار الجوال ، وكثيراً ما يسعى المراهق من وراء المكالمات الطويلة إلى الاطمئنان بأن أصدقاءه راضون عنه ، وأنه ليس هناك تحالفات خفية تعمل على إقصائه أو إيذائه .

هـ - بين كثير من المراهقين إعجاب متبادل ، وهذا الإعجاب كثيراً ما يكون بريئاً ، أي ليس له امتداد شهواني ، لكنه يقوِّي الرابطة بينهم ، ويكون معبراً لتقليد بعضهم لبعض ، واقتباس بعضهم من أخلاق بعض ، وهو على ما فيه من براءة يسبِّب بعض الآلام النفسية للمراهق ، والكثير من القلق ، ولا سيما حين يشعر المراهق بأن من يتعلق به قد أعرض عنه، أوله تعلق بشخص آخر .

و - يبدي المراهق استعداداً قوياً للتضحية من أجل أصدقائه ،وهو يفخر بذلك ، بل إنه قد يكون مستعداً لتحمل نتائج خطأ ارتكبه صديقه ، وذلك حين ينسب الخطأ إلى نفسه . الخبر السار في كل هذا هو أنه مؤقت ،فهو يضمحل كلما درج المراهق نحو الرشد .

٨- صراعات في داخل المراهق :

لا يصبح الإنسان راشداً ومتوازناً بسهولة ، وبما أن المراهقة هي

مرحلة انتقالية بين الطفولة والرشد ، فإن لنا أن نقول : إنها مرحلة مخاض واستعداد لولادة جديدة ، وهذا يعني أن المراهقة هي مرحلة اكتشاف للذات وللإمكانات، ومرحلة تحسس للمستقبل الاجتماعي الذي ينتظر المراهق ،وهذا الاكتشاف لا يتم بسلاسة ، وإنما عبر سلسلة من الصراعات والأخطاء والتجارب المريرة ، ولعل أهم ملامح تلك الصراعات الآتي :

أ ـ مشاعر النقص والكمال :

يلاحظ المراهق بقوة نقاط القوة لديه على الصعيد العقلي والجسمي والسلوكي ، كما يلاحظ ما للأسرة من مكانة على الصعيد الاجتماعي، وهذه الملاحظة تجعل المراهق يشعر بالثقة بالذات وبشيء من الزهو والتفوق على الأصدقاء والزملاء ، صحيح أن رؤيته لكل ذلك كثيراً ما تفتقر إلى الوضوح والاتزان ، لكن تركيزه على الميزات التي لديه ومبالغته في ذلك يولِّد لديه الكثير من مشاعر الرضا ، ويبدأ الصراع حين يحتك بالزملاء والأصدقاء وأبناء الجيران ، ويدخلون جميعاً في تسابق للبرهنة على التفوق الشخصي والاجتماعي ، حيث يكتشف كثير من المراهقين من خلال المقارنة المكثَّفة نقاطَ الضعف لديهم على الصعيد الجسمي والذهني والاجتماعي ، وكثيراً ما يكون للألعاب الجماعية دور مهم في هذا، حيث يجد المراهق نفسه أحياناً منبوذاً ومرفوضاً من قبل الزملاء لأنه سيشكل عبئاً على فريقهم في حالة انضمامه إليه، ولا يخفى أن مشاعر المراهق وانطباعاته تظل ملفوفة بالغموض والإبهام ، وهذا يزيد الطين بِلَّة ، ولعل الوقوف الطويل للمراهق

أمام المرآة وولعه برؤية الأفلام هو جزء من مسعاه لحسم ذلك الصراع والتخلص من ذلك الغموض .

ب ـ الصراع بين دواعي الاستقامة ودواعي الانحراف :

ينشأ المراهق في مجتمعاتنا الإسلامية وقد تشبع بالكثير من معاني العفة والاستقامة ، فقد سمع الكثير من أبويه وأساتذته عن شناعة الزنى وعواقب السلوك الجنسي المحرَّم ، كما أن المجتمع يراقب عن كثب وبحزم العلاقات التي يمكن أن تنشأ بين الذكور والإناث خارج مؤسسة الزواج ، هذا كله يجري في الوقت الذي يشعر فيه المراهق وكأنه تحت ضغط فورة جنسية وعاطفية عارمة ، وهذا يجعل سلوكه اليومي ميداناً فسيحاً للصراع والتجاذب بين ما يتصل بمعاني العفة والحشمة ،وما يتصل بمعاني الشهوة واللذة والغريزة ، وإن للدائرة الضيقة من الأصدقاء تأثيراً جوهرياً في حسم ذلك الصراع وترجيح إحدى الكِفَّتين على الأخرى ، كما أن هذا النوع من الصراع كثيراً ما يكون مصدر قلق بالغ لأهل المراهق، ومصدر شك كبير لديهم في جدارة ابنهم بالثقة .

ج ـ مابين التحرر والانضباط :

المراهقة ـ كما أشرنا مراراً ـ مرحلة انتقالية من اعتماد على الآخرين اعتماداً شبه كامل إلى الاستقلال شبه التام ، ولهذا فإننا نلاحظ أن المراهق يميل إلى أن يعيش ويتصرف وكأنه حر من كل قيد ، فهو يشعر بوطأة القيود والأعراف الاجتماعية، ويرى كثيراً منها غير منطقي ، ويتعجب من وجوده ،ويتجلى ذلك في ملابسه وقصة شعره

وبعض مواقفه السلوكية ، كما يتجلى في عدم رغبته في الجلوس مع الضيوف والانصياع لتقاليد مسامرتهم وخدمتهم، وفي عدم رغبته في الذهاب مع أبيه لزيارة الأقرباء والأصدقاء،لأن الجلوس مع الكبار لا يسمح له بأن يتصرف على سجيته ، كما أن الكبار يثيرون في مجالسهم موضوعات كثيرة ، لا تتصل باهتماماته، لكن هذه الرغبات لدى المراهق تصطدم برغبة قوية لديه ، وهي أن يشعر أنه شخص محترم في نظر أعمامه وأخواله وجيرانه وأصدقاء أبيه، وهذا لا يتحقق إلا إذا كان يتمتع بالعضوية الكاملة في المجتمع الذي يعيش فيه، والتمتع بالعضوية يتطلب فهما جيداً للأمور التي يعدُّها المجتمع غير لائقة أو شنيعة ، وبعد الفهم يكون التقيد والانضباط... المراهقون في الغالب يعملون على حل جزئي لهذا الصراع ، وهذا الحل يقوم على الرضوخ لتقاليد المجتمع قدر الإمكان ،ولو كانت القناعة بها غير حاصلة ، كما يقوم على تقليل الاحتكاك بالكبار وتقليل التحدث في مجالسهم خشية الوقوع في الخطأ ، ويقوم كذلك على الاستفادة من خبرات أقرانهم في هذا الشأن ، ومن هنا فإن جزءاً من أحاديث المراهقين حين يجتمعون يتركز على استعراض المقالب التي وقع فيها بعضهم، واستعراض النجاحات التي أصابها آخرون، وبعد الاستعراض يكون التناصح وأخذ العبرة ، يقول أحد المراهقين: جاء إلى زيارة أبي بعض الرجال الذين لم أرهم من قبل، وحين أعطتني والدتي الضيافة لأقدمها لهم، طرقت الباب حتى يأخذها أبي مني دون أن أدخل ، لكنه أصر على دخولي، فدخلت وجلست في طرف المجلس بعد إلقاء التحية، فقال أبي ، قم وصافح أعمامك، فقمت وأنا في غاية الحرج لأنني لا أعرف

الكلمات والتعبيرات التي سأقولها للترحيب بهم فأخذت أهمس : أهلا وسهلاً مع هز الرأس، ومر الوقت بسلام... ، وبعد مدة ذهبت مع أبي لزيارة بعض أصدقائه، وبعد السلام عليهم جلست إلى جانب أبي ، وكان بينهم مدرس للرياضيات، فأخذ يسألني عمّا إذا كنت ماهراً في الحساب؟ وصار يلقي عليَّ بعض المسائل في الضرب والقسمة ، ووصل به الأمر إلى طلب حل بعض المعادلات الرياضية البسيطة ، وأخذ العرق يتصبب مني ،لأنني - كما - تعرفون ضعيف جداً في الرياضيات، ولم ينفضّ المجلس حتى اتفق أبي مع صديقه على أن أذهب إلى بيته مرة في الأسبوع حتى أدرس عليه المادة التي أكرهها كراهة شديدة ، فما العمل في نظركم ؟

هنا أخذ زملاؤه يقدمون له النصائح المختلفة للتعامل مع هذه الحالة المحرجة ....

د ـ ما بين الهواية والظروف الموضوعية :

حين يصبح الطالب في المرحلة المتوسطة تبدأ التساؤلات المزعجة تجتاحه حول التخصص الذي سيدرسه ، وهل سيكون في اتجاه العلوم البحتة أو العلوم الإنسانية ؟ المراهق بسبب ضعف خبرته في الحياة يظن في البداية أنه سيستطيع دائماً أن يدرس التخصص الذي يميل إليه ، ويأخذ في نسج الأمنيات والأحلام التي ستحققها البراعة في دراسة ذلك التخصص ، وحين يأتي وقت الاختيار ووقت القرار في المدرسة الثانوية أو في الجامعة، فإنه يكتشف أن الأمور أعقد مما كان يظن ، بل إنه يكتشف أنه غير متيقن فعلاً مما إذا كان يرغب حقيقة في دراسة الشريعة ـ مثلاً ـ أو في دراسة الهندسة أو في دراسة

إدارة الأعمال ...

ومن المؤسف أن المراهق لا يجد إلا القليل من المساعدة على حسم خياراته والتخلص من شكوكه ،إنه يجد أمام ما كان يحلم بدراسته مدةً طويلة من الزمن عدداً من العقبات والمشكلات منها :

- عدم وجود التخصص الذي يرغب في دراسته في جامعة بلدته ، مما يضطره إلى السفر إلى بلد آخر ، وهذا ما ترفضه والدته ، أو يرفضه والده لأنه لا يملك نفقات ذلك .
- يدخل المراهق بعض الاختبارات التي تقيس الذكاء أو التحصيل.... وتكون النتيجة التوصية بدراسة تخصص آخر غير ما يحبه ، أي أنه يحب تخصصاً لا يملك القدرة والأهلية للتفوق فيه .
- المراهق يحب تخصصاً ما ، ويعتقد أنه سيبدع فيه فيها لو أتيحت له دراسته ، لكن مجموع درجاته في الثانوية لا يؤهله لدراسة ذلك التخصص.
- يريد والد المراهق من ابنه أن يدرس التخصص الذي كان يتمنى أن يدرسه هو لما كان في سنه ، لكن الظروف لم تساعده على ذلك.
- المراهق يتلقى النصائح بأن التخصص الذي يحبه غير مطلوب في سوق العمل ، ولذا فإن عليه أن يدرس تخصصاً آخر .

إن المراهق يعيش فعلاً صراعاً كبيراً في مرحلة اختيار التخصص ، ويحتاج إلى مساعدة مخلصة وصادقة من كل من يحيطون به .

٩ـ اجتمع ثلاثة من المراهقين في إحدى الحدائق ، وأخذ كل واحد منهم يشكو من أن أهله لا يفهمونه على الوجه الصحيح ، ومن ثَم فإنهم لا يعاملونه المعاملة التي يستحقها ، وحين أفاضوا في الشكوى

والتذمر ، قال أحدهم : ما رأيكم أن نحوِّل هذه الجلسة من جلسة شكوى إلى جلسة للتمني والحلم بأشياء جميلة ؟ سأله صديقه : ما الذي تعنيه بالضبط ؟ قال :أريد من كل واحد منكم أن يحلم بأهم ما يتمناه من معاملة أهله له ، لنرى هل ما نعاني منه ،و ما نتمناه موحَّد أو مختلف ؟ واستحسن الثلاثة الفكرة ، وشرعوا في التمني ، قال الأول : أتمنى على أهلي أشياء كثيرة ، منها :

١ـ أن يدركوا أن ما ينكرونه عليَّ من تصرفات ومظاهر، هي أمور شائعة بين المراهقين ، وهم يظنون أنني وحدي أفعل ذلك . أنا أحياناً أقول : إن أهلي على حق، لكن أنا لا أستطيع أن أظهر أمام زملائي وأصدقائي وكأني قادم من القرن التاسع عشر .

٢ـ أتمنى أن يعرف والدي أنني لم أعد طفلاً ، وأنني لا أستطيع الآن أن أسمع الأفكار الخاطئة دون أن أعترض عليها كما كنت أفعل لما كنت صغيراً ، أنا الآن أعرف الكثير من الأمور ، بل ربما عرفت أموراً لا يعرفها أحد في أسرتي ، فلماذا لا أتحدث عنها ؟ .

٣ـ أتمنى أن تكون ذاكرة أمي قوية جداً حتى لا تكرر نصائحها لي في الصباح والمساء ، فأنا قد سئمت من المواعظ المكررة وغير المفيدة .

٤ـ أتمنى أن يدرك أبي أني لا أحب أن أظهر معه في أي مكان ، حتى لا أسمع تعليقات جارحة من زملائي ، لكن كيف يمكن أن يعرف أبي هذه الأمنية ؟ هذا صعب جداً .

قال الثاني : أنا أتمنى من أهلي شيئين فقط :

الأول : أتمنى على والدي إذا تحدث معي ألا يوجه لي أي نصيحة ،

أريد أن يسألني عن اهتماماتي وأنشطتي ،وعن الأمور التي حقَّقت فيها نجاحات جيدة فقط.

الثاني : أتمنى أن يعاملني أبي بالطريقة التي يعامل بها أصدقاءه.

قال الثالث : أنا أعرف أننا نتمنى ، وأن ما نتمناه لن يحدث ، ولهذا سأقتصد في التمني ، وأقول : أنا لا أريد من أبي سوى شيء واحد ،هو أن يتذكر تصرفاته حين كان في مثل سني ، وأنا واثق أنه لو استطاع فعل ذلك فسيدرك أنه لم يختلف عني كثيراً

إن فهمنا لطبيعة مرحلة المراهقة يجعلنا نميز جيداً بين ما هو طبيعي في حياة أبنائنا المراهقين ، وما هو غير طبيعي، وبناء على هذا التمييز نحدد الأسلوب الأمثل للتعامل معهم.



علاقة الأبوين بالمراهق

خلق الله ـ تعالى ـ للأشياء وجودين : وجوداً ذاتياً شخصياً ، يتجسد في السمات الخاصة بكل شيء من الأشياء ، ووجوداً علائقياً يتجسد في تلك الصلات والعلاقات التبادلية التي تقوم بين الشيء وغيره من الأشياء المشابهة والمخالفة .

للماء ـ مثلا ـ وجود مستقل ، وحين نضيفه إلى التراب يصبح له وجود جديد مكوَّن منه ومن التراب ، وهو الطين ، وحين نضيف السكر إلى الماء يصبح السكر جزءاً من كيان جديد ، كما يصبح للماء كيان جديد، يحمل اسماً مركباً ، هو (الماء المحلّى). هكذا الطفل حين يختلط بأبويه وإخوته الكبار يصبح له وجود جديد بما يكتسبه من أفكار ومبادئ وأخلاق وعادات ومهارات ... من المؤسف أن معظم الناس لا يلقي بالاً للوجود العلائقي ، ولا يرصد ملامحه لا على صعيد النفع، ولا على صعيد الضرر ، إن الطالب حين يبدأ حياته الدراسية يكون عاجزاً عن كتابة أي شيء حتى اسمه، ومن خلال صحبته للمعلمين والأساتذة في المدرسة والجامعة على مدى ستة عشر عاماً يتحول من جاهل بكتابة اسمه إلى مدرس في الثانوية، وهكذا فإن لنوعية العلاقة التي يقيمها الأبوان مع المراهق تأثيراً كبيراً في تصرفاته في مرحلة المراهقة ،

كما أن لها تأثيراً جوهرياً في تشكيل اتجاهاته في الحياة، وفي نظرته لنفسه ولمن حوله ، بل للعالم أجمع ، وقد دلت دراسة حديثة ، أجريت على اثني عشر ألف مراهق على أن العامل الأكثر أهمية وتأثيراً في رفاهية المراهقين وفي إحساسهم بالسعادة، هو جودة علاقتهم بآبائهم بغض النظر عن نوعية الأسرة التي ينتمون إليها ، كما أظهر بعض البحوث أن المراهقين الذين يتمتعون بعلاقات قوية مع آبائهم يقل احتمال تورطهم في مشكلات خطيرة ، وهذا شيء منطقي ، فالعلاقة الحسنة والمتينة بالأبوين تشكل بالنسبة إلى المراهق الدرع الحصين الذي يقيه بعد حفظ الله ـ تعالى ـ من الدخول في مغامرات وتجارب خطرة ، كما يقيه من وساوس قرناء السوء الذين قد تتوثق علاقته بأحدهم بشكل سريع جداً دون علم أحد . الآن أذكر مساهمات الآباء والأمهات في بناء علاقة جيدة وقوية مع أبنائهم المراهقين و بناتهم المراهقات مع أننا لا نختلف في أن للمراهقين دوراً في تشكيل تلك العلاقة ورسم ملامحها النهائية، إننا لنعتقد أنه سيظل للكبار الدور الأساسي في ذلك بما لديهم من رشد وعاطفة صادقة تجاه أبنائهم، وبما لديهم من معرفة بمصالحهم :

١ ـ علاقة صعبة :

يجب أن نعترف بأن إقامة علاقة جيدة ومستمرة بين الأب وابنه وبين البنت وأمها ليست بالشيء السهل ، فالمراهقون يمرون يومياً بدُوَّامة من المشاعر المتناقضة ، وحين يمرون بأزمة حادة ، فإنهم كثيراً ما يجدون حرجاً في مفاتحة آبائهم وأمهاتهم ، ولهذا فإن على الواحد منا إذا وجد صعوبة في التواصل مع ابنه المراهق ، ألا يظن أنه وحده الذي

إضاءة
الخواء الروحي يجعل الإنسان يشعر بأن حياته من غير معنى.

يعاني من ذلك ، فالحقيقة أن الجميع يعاني حتى التربويون والأطباء النفسانيون والمرشدون الاجتماعيون يواجهون مشكلات في إقامة علاقات ممتازة مع أبنائهم المراهقين ، وعلينا أن نكون مستعدين في بعض الأحيان لسماع ما لم نكن نتوقع سماعه، ورفض ما لم نكن نتوقع رفضه ، والأجر على ذلك كبير إن شاء الله تعالى.

٢ ـ توفير وقت للمشاركة :

لدى كل واحد منا من المشاغل والهموم ما يمكن أن يستغرق كل وقته وكل اهتماماته ، ومن هنا فإن الأب الجيد هو الذي يجعل أولاده من بين أولوياته ، ويفكر دائماً في إيجاد وقت كافٍ للتواصل معهم ومشاركتهم في بعض أنشطتهم . إن من مهام المربي أن ينقل القيم التي يؤمن بها إلى من يربيهم، وهذا لا يتم إلا عبر صلة روحية قوية بهم ، وهذه الصلة تتوثق بالمخالطة والمشاركة في الاهتمامات ، أحد الآباء لا يفصل بينه وبين ابنه المراهق سوى ثلاثة وعشرين عاماً ، ولهذا فإنه كثيراً ما يشاركه اللعب ، و كثيراًما يأخذه معه للتسوق وشراء بعض حاجات المنزل ، ويمشي معه إلى الصلاة ، وحتى يطول الطريق فإنهما يصليان بعض الصلوات في مسجد بعيد نسبياً عن المنزل ... وخلال ذلك يدير مع ولده الكثير من الأحاديث حول وضع الأسرة، وحول دراسته ، وأهدافه المستقبلية ، وهو يدير الأحاديث مع ابنه بعفوية كاملة ، وكثيراً ما يسوق بعض الطرف والنكات الجميلة التي تجعل ابنه يضحك والسرور يلمع في عينيه ، ومع هذا فقد كان الأب يعرف ما يريد ، وكان يحاول إسقاط الحواجز بينه وبين ابنه ، وقد أحسَّ أنه نجح في ذلك حين رأى ابنه يشاوره في أمور حساسة يستحي الأبناء عادة من مفاتحة آبائهم فيها ، وصار الابن حريصاً على أن

يكون في صحبة والده في زيارة بعض الأرحام، وهذا ما لا يرغب فيه كثير من المراهقين العاديين . إحدى الأمهات كانت مثقفة ثقافة عالية، وكانت تكتب بعض الروايات الناجحة جداً ، وصار لها شهرة واسعة، لكنها مع هذا كانت تدرك أن نجاحها في تربية بناتها كان يتوقف على معايشتها لهن على النحو الذي تفعله المرأة الريفية العادية، ولهذا فإنها كانت تقول لابنتها الكبرى : ما رأيك أن نقوم ونصنع النوع الفلاني من الحلوى حتى نفاجئ أباك في المساء ، وكانت تتذاكر بين الفينة والفينة مع ابنتها الوسطى في إعادة ترتيب أثاث المنزل، كما كانت تجلس مع ابنتها الصغرى ، وتحكي لها بعض الحكايات الجميلة والمسلية . هذه الأم قالت يوماً لجارتها: أنا في تربيتي لبناتي أرفع شعار: نعم للمشاركة، ولا للمصارحة ، إنني أحب أن أندمج مع بناتي في الكثير من المهمات والأعمال؛ لأن هذا هو الذي يجعل منهن ربات بيوت ناجحات في المستقبل ، وفي الوقت ذاته لا أصُرُّ عليهن أن يحدثنني عن كل شيء ، ولا أقول لهنَّ كل ملاحظاتي عليهن؛ وذلك حتى لا يشعرن بأي فجوة تفصل بيني وبينهن . كثير من الآباء والأمهات فوجئوا بوقوع أولادهم في أخطاء فاحشة ، والسبب أنهم كانوا لا يعرفون أن المراهق إذا احتاج إلى أبيه ،ولم يجده، فإنه سيعثر عل شخص آخر ، وهذا الآخر قد يكون هو السبب في انحرافه !

٣ـ الاحترام المتبادل :

ليس من المألوف في أساليب التربية لدى معظم الشرقيين الحديثُ عن احترام الكبار للصغار ، فنحن في الغالب نتحدث عن العطف على الصغار، وحين نتحدث عن الاحترام ، فإننا نتحدث عنه في سياق توبيخ الأطفال لأنهم لا يعاملوننا باحترام !.

الاحترام عبارة عن جو من التقدير والاهتمام ورؤية الإيجابيات والمراعاة المتبادلة ...

الإنسان الذي يعامل غيره باحترام إنسان تعود تلقي الاحترام من الآخرين ، وهذا يدفعه إلى أن يحترم ذاته ، واحترامه لذاته ، يجعله يندفع في اتجاه احترام غيره ، ولهذا فإننا نقول لمن يسيء إلينا : احترم نفسك ، ولا نقول له : احترمنا ، لأننا نعرف أن احترام الإنسان لغيره فرع من احترامه لنفسه . نحن الكبار بحكم وعينا واستشعارنا للمسؤولية مطالبون بأن نؤسس لعلاقة الاحترام داخل أسرنا ، ومن سلوكنا المحترم يتعلم الصغار كيف يحترمون أنفسهم ، وكيف يحترموننا . لو أحببنا أن نتخيل ما يفعله الأب المحترم والمهتم ببناء نفسية الاحترام لدى ولده ، فما الذي يمكن أن نتصوره يا ترى؟

في إمكاننا أن نتخيل الآتي:

أ ـ يخبر ولده في كل مناسبة بأنه يقدِّره ، ويحترمه ويحبه ، وهذا يدفع ابنه أن يقول لأبيه وللآخرين : إنه يحترمهم ويقدرهم .

ب ـ يعتقد أن احترامنا للشخص يعني أن نحترم مشاعره وآراءه ورغباته ، فلا نقوم بتصرف يؤذي مشاعر الطفل ، ويكدِّره ، وحين نناقش قضية أسرية ، فإن من حق المراهقين والمراهقات في الأسرة المشاركة في تلك المناقشة ، وأخذ وجهات نظرهم بعين الاعتبار ، وحين يتم استخراج الآراء وإجراء تصويت لاتخاذ قرار ، فإن آراءهم وأصواتهم تعامل كما تعامل أصوات الكبار .

ج ـ يعرف الأب الذي يعامل ابنه باحترام أن من السهل عليه أن يصرخ في وجهه ، وأن يتجاهله ويتهكَّم به ، لكنه يمتنع عن كل ذلك لأنه يعرف أن استمرارنا في ارتكاب الخطأ مع المراهق ، سوف

يدفعه في النهاية إلى معاملتنا بالمثل : صراخ بصراخ ، وتهديد بتهديد، وتجاهل بتجاهل ...

د ـ يتذكر ما لدى ابنه من فضائل : مداومة على الصلاة ، مثابرة في المذاكرة ،تسامح ، كرم ، أمانة ... هذا التذكر يجعل موقفه من خطأ ابنه منصفاً ومتوازناً ، ويمكن لكل واحد من الأبوين أن يذكِّر الآخر بتلك الفضائل حين يتجاهلها ، ويقسو على الابن في محاسبته على زلته.

هـ ـ يهتم بما يعده ابنه مهماً، فهو يهتم بيوم تخرجه ، ويحاول حضور حفل التخرج ، وإذا كان لديه معرض أو مشروع أو حدث يعده مهماً، فإنه يهتم به، ويشاركه فيه ، ويعرب له عن سروره وإعجابه .

٤ـ التخلي عن السيطرة على المراهق:

أنا أقول دائماً : إن حركة الوعي أبطأ من حركة الواقع ، إذ إن من المشاهد أن الأشياء والظروف والأفكار ... تتغير من حولنا ونحن ما زلنا نتعامل معها على ما كانت عليه في الماضي ، وإن تعاملنا مع المراهقين لا يشذ عن هذه الوضعية، حيث إن كثيراً من الآباء يتعاملون مع أبنائهم الذين في السابعة عشرة بنفس الأسلوب الذين كانوا يتعاملون به معهم حين كانوا في العاشرة، وهذا يوجد أزمة كبيرة بين المراهقين وآبائهم وأمهاتهم ، ومن هنا فإن التحدي الذي يواجهنا جميعاً هو أن نتعلم كيف نخفف من سيطرتنا على المراهقين ، ولعلي أسوق هنا نموذجين لأبوين :

أب مسيطر ومتحكم وأب استطاع أن يعامل ابنه المراهق بأسلوب أفضل وعياً بمتطلبات الوضعية الجديدة لولده :

أ ـ الأب المسيطر :

ـ يضع ابنه دائماً تحت المراقبة ، ويريد منه الاستئذان في كثير من التصرفات

ـ يُصدر أوامره إليه بحدَّة وعلى نحو مباشر .

ـ لا يثق بقدرة ابنه على التصرف على نحو مستقل ، ويغلِّب جانب الحذر في النظر إلى تصرفاته .

ـ يحرص على أن يعرف على نحو مبالغ فيه كل علاقات ابنه خارج المنزل ، ولا يفتح مجالاً للنقاش معه .

ـ حين يختلف معه في شيء فالراجح لديه صواب رأيه وخطأ رأي ابنه

ـ ليس عنده مشكلة في أن يوبخه أمام إخوته أو أمام الآخرين .

ب ـ الأب المستوعب لوضع ابنه:

يعرف التطورات التي طرأت على حياة ابنه المراهق ، ولهذا فإنه يعامله بأسلوب جديد يختلف كثيراً عن الأسلوب الذي كان يعامله به قبل ست أو سبع سنوات، ومن معالم ذلك الأسلوب :

ـ ينظر إليه على أنه على أبواب الرجولة ، ولهذا فإن معاملته له تكون على أنه رجل صغير أو طفل كبير .

ـ لا يحمل كلام ابنه المراهق على محمل الجد في كل مرة لأنه يعرف أنه مرتبك وناقص التوازن .

ـ يتعامل مع ابنه على أنه موثوق ، ولا يدقق في تصرفاته إلا عند وجود ريبة .

ـ يترك له مساحة واسعة للاختيار ، ويستشيره فيما يخصه من شؤون .

ـ يراعي مشاعره ، ويحرص على حفظ كرامته .

- يفوِّض إليه إدارة بعض شؤون الأسرة .
- يستمع إلى نقده لأسرته باهتمام .

٥- لا للضغوط :

كثيراً ما يكون القلب - وليس العقل - هو الطريق إلى تغيير قناعات المراهق ، وإذا عرفنا أن معظم المراهقين يُظهرون درجة من العناد والمشاكسة والميل إلى الجدل - أدركنا أن استخدام الضغط الأدبي أو المادي على المراهق ينبغي أن يكون في أضيق الحدود ، وينبغي أن ننظر إليه كما ننظر إلى العقاب ، لا نلجأ إليه إلا في نهاية المطاف .

لا شك أن طبائع المراهقين مختلفة اختلافاً واضحاً ،و لا شك أن منهم من لا يفهم إلا بلغة القسوة ، لكن علينا أيضاً أن نقول: إن من الآباء والأمهات من يستخدمون القسوة في تربية أبنائهم من غير مسوِّغ مقبول ، كما أن منهم من يسيء إلى الصغار ، ويطلبون منهم أن يحبوهم، ويستجيبوا بحماسة لإرشاداتهم . هذا أب يريد من ابنه البالغ ستة عشر عاماً أن يبتعد عن أحد أصدقائه المقربين ، وأن يقطع الصلة به ، وقد كان يتخذ من النقد لذلك الصديق وسيلة لذلك ، فإذا قال الابن :إن صديقي فلان كريم ، وينفق على أصدقائه بسخاء، قال الأب : هذا سفه ، أبوه غارق في الديون ويعطيه كل ذلك المال لينفقه على المظاهر ، وإذا قال: إنه يحترمني ، ويسأل دائماً عني ، قال الأب : تأكد أن هذا ليس لوجه الله ، ولا بد أن له مصلحة ، ستظهر لك فيما بعد .... في أحد الأيام تضايق الابن ، وقال: يا أبي أنا أعرف أنك لا ترتاح لصديقي فلان ، وأنك تريد أن أقطع علاقتي به ، لكن هل يمكن أن تقنعني بذلك ؟ قال الأب : ليس على الكبير أن يُقنع الصغير ، وبعد إلحاح الأم على الأب قال الأب : والده أساء إليّ ذات

مرة ، وأنا لا أحب أن أراه ، ولا أن أرى أياً من أولاده . كانت النتيجة هي أن الفتى قطع علاقته بصديقه حسب الظاهر ، وكفَّ عن الحديث عنه لكنه كان يلتقي به سراً بين الفينة والفينة ، وفي إحدى المرات كذب على أبيه حين أخبره بأنه لم يعد له أي صلة به! من المهم أن ندرك معاشر المربين أن الضغط على الأبناء لا يسمح للوازع الداخلي لديهم بالنمو الجيد ، مما يدفعهم في النهاية إلى أن يكون لهم سلوكان، خيرهما الذي يظهر لنا، وشرهما هو الذي يكون في السر، ويظهر للأقران والزملاء ، أثبتت دراسة أمريكية أجريت على أربعمئة ولد من سن رياض الأطفال وحتى سن الرابعة والعشرين ـ أن المراهقين في الأسر المتماسكة ذات الروابط القوية والأسر التي تسودها الشورى والاهتمام المتبادل ، هم الأقل شعوراً بالضغوط، وهم الأكثر إيجابية في النظرة إلى الحياة وشؤونها ومشكلاتها في حين كان الآخرون أكثر عرضة للاكتئاب والضغوط النفسية . وأكدت دراسة علمية أخرى أن ٨٠ ٪ من مشكلات المراهقين في عالمنا العربي هي نتيجة مباشرة لمحاولة أولياء الأمور تسيير أولادهم بموجب آرائهم وعاداتهم وتقاليد مجتمعاتهم ، حيث إنه يتشكل عند الأبناء انطباع بأن آباءهم تقليديون ، وغرباء عن زمانهم ، أو أنهم لا يهتمون بمعرفة مشكلات أولادهم ، أو أنهم غير قادرين على فهمها أو حلها . الإقناع والحب ومحاولة التفهم ، تساعد على كسب الأبوين للمراهقين ، وإن الضغط والتوبيخ واستعجال الثمار والنتائج مما يباعد بينهما وبينهم ، ويجعل تأثرهم بتوجيهاتهما ضعيفاً .

٦ـ الحيلولة دون تفاقم غضب المراهق :

لدى كل المراهقين أسباب دائمة ومستمرة للغضب ، ويقع في قمة تلك

الأسباب نظرتهم الخاصة للحياة مما يجعلهم طموحاتهم وانطباعاتهم مختلفة عما لدى أسرهم منها ، ويمكن أن نضيف إلى ذلك ارتباكهم الشخصي واضطرابهم في تعاملهم مع أنفسهم والتغيرات الجسيمة والنفسية السريعة التي تطرأ عليهم خلال مرحلة المراهقة . مهما يكن الأمر ، فإن الكبير يستطيع استيعاب الصغير ، وجعلَ الغضب لديه يقف عند حدود معينة بشرط الاهتمام بذلك ، والحقيقة أن لدينا الكثير من الآباء والأمهات الذين لا يشعرون بأشكال الأسى التي تتراكم في نفوس أبنائهم ، مما يجعلهم أشبه بقدر الضغط الذي أُشعلت تحته النارُ ، وسُدَّت جميع منافذه ... يستطيع الآباء والأمهات أن يخفضوا من حدة غضب أولادهم ، من خلال العديد من أساليب التعامل ، والتي منها :

أ ـ السماح للفتيان والفتيات بالتعبير عما يجول في صدورهم من الاعتراضات والانتقادات ،والشرط الوحيد هو أن يعبروا بطريقة صحيحة ،ليتحدث الواحد منهم بصراحة تامة عن كل ما يزعجه وعن كل ما يراه غير لائق داخل أسرته، لكن بطريقة هادئة ومهذبة، هذه بنت تشعر بأن والدتها غير عادلة في قسمة الأعمال المنزلية ، فهي دائماً تكلفها بالأعمال المزعجة، و ذات يوم قالت لها والدتها: يا فلانة عليك أن تفعلي كذا وكذا وعلى أختك فلانة أن تفعل كذا وكذا .. فما كان من البنت إلا أن انفجرت بالبكاء وصرخت في وجه والدتها : هذه قسمة غير عادلة، أنا منذ ثلاث سنوات أتعرض لظلم مقصود ، ولن أسكت بعد اليوم ... كانت والدتها حكيمة وصبورة ، فسمحت لها بإفراغ الشحنة العاطفية لديها ، وبعد أن هدأت قالت لها : أنا أدركت الآن يا بنتي أنني لم أكن عادلة في القسمة ، ولكن ثقي أن

ذلك لم يكن مقصودا ، فكل واحدة منكما بمثابة إحدى عيني ، ولكن يا بنتي لم تكوني على صواب حين صرخت واتهمت.... وأخذت الأم ببيان الأسلوب الصحيح للاحتجاج ، واعتذرت البنت ، وقبلت الأم الاعتذار، وقالت : الآن سأستدرك على ما أعتقد أنه خطأ وقعتُ فيه ، وذلك بأن تتبادلي مع أختك العمل لمدة سنة ، فما كنت تنجزينه في الماضي ، تقوم أختك بإنجازه ، وما كانت أختك تُنجزه تقومين أنت به، وشعرت البنت فعلاً بالرضا والطمأنينة .

ب ـ كثيراً ما يكتسب المراهقون الجرأة على الكلام الخشن والمواقف الحادة مما يشاهدونه في بيوتهم ، فإذا كانت الأم كثيرة الغضب ، أو كان الأب شديد النزق ، فإن الأبناء يقلدونهم ، ومع الأيام يستسهلون الصياح في وجوه آبائهم ، ومن هنا فإن توفير بيئة هادئة ومهذبة يساعد كثيراً على تنشئة أبناء هادئين ومنضبطين ، وهذا يواجهنا جميعاً ولا سيما أصحاب الطباع الحادة منا .

ج ـ نحن كثيراً ما نقع في خطأ فادح هو متابعة الأبناء وتوجيه الملاحظات المستمرة لهم ، وحين يكون هناك شيء إيجابي ، فإننا لا نجد في معظم الأحيان الحماسة لتشجيعه والثناء عليه ، وهذا يجعل المراهق يشعر بالغضب والضيق وشيء من الظلم ، ومع الأيام تتراكم هذه المشاعر لتنفجر بطريقة غير واعية في صورة رفض ونزاع وعناد وخروج عن حدود الأدب في خطاب الأبوين . المطلوب هو غض الطرف عن الهفوات وتقليل الملاحظات إلى جانب الكرم في الثناء والتحفيز ، أحد الآباء يدخل دائماً في صراع مع أبنائه ، فإذا طلب من أحد أبنائه القيام بعمل ، وأخذ الولد يتمتم بكلمات غير مسموعة ، قال له : قف عندك ، وأعِد ما قلته ، وهنا يرتبك الولد ، ويشعر بحرج

شديد ، ولا يدرك الأب أن تمتمة ابنه هي للتنفيس عن الكرب الذي يشعر به ، وأنه لا يعني ما أقول.

أب آخر يجري معه مثل ما جرى مع صاحبنا ، لكنه يتعامل مع الأمور بسماحة أكثر ، وبصبر أشد ، إنه يتجاهل ما يراه ،ويسمعه أو يحسّ به من أمور غير مناسبة ، وفي ساعة صفاء يقول لابنه : في بعض الأحيان تتمتم بعبارات لا أسمعها ، وأعتقد أنها ليست مناسبة ، أنا أود أن تناقشني بهدوء في أي وقت عن سبب عدم اقتناعك بتنفيذ ما طلبته منك ، وأنا جاهز للتراجع إذا ثبت أنه غير مناسب .

المراهق كائن يشعر في أحيان كثيرة أنه يفتقر إلى التوازن ، وإلى ضبط رغباته ونزعاته ، ويشعر أنه مغلوب على أمره ، وإن إدراكنا لهذا سوف يجعلنا نعامله بالرحمة والشفقة عوضاً عن أن نطبِّق عليه القوانين الاجتماعية الصارمة .

٧ـ لا يستغني الآباء عن شيء من المسايرة لأبنائهم :

ذكرت فيما مضى أن بين الآباء والأبناء فجوة ثقافية ، تجعل رؤية هؤلاء تختلف قليلاً أو كثيراً مع رؤية أولئك ، كما أن الهموم المسيطرة على المراهقين والمراهقات تختلف اختلافاً بيناً عن الهموم المسيطرة على آبائهم وأمهاتهم ، ثم إن المراهقين ينظرون إلى آراء أصدقائهم فيهم على أنها في الكثير من الأمور أهم من آراء آبائهم وأقاربهم الراشدين، ولهذا فإنه لا بد للآباء والأمهات من مسايرة ومجاراة أبنائهم وبناتهم في بعض الأمور ، هذا ولد أطال شعره عن الحدّ الذي ألفه أهله ، وهذا ثان قص شعره بطريقة أيضاً غير مألوفة ، وهذه بنت تطيل الجلوس مع بعض صديقاتها في الجامعة ، وأخرى تتأخر قليلاً في السهر ... أمور كثيرة ومواقف عابرة تُزعج الأهل ، ويريدون من أبنائهم أن

يقلعوا عنها ، والحقيقة أننا معاشر الآباء لا نتضايق من مظهر المراهقين بمقدار تضايقنا من الأمور التي يشير إليها المظهر ، نحن نخاف من أن يقع المراهق في مصيدة الانحلال الخلقي ، والانحراف السلوكي ، ونخاف من أن تؤثر كثرة جلوسه مع أصدقائه على دراسته ومستقبله أو على صلته بنا وولائه لأسرته .. ومن هنا فإني أود أن أشير في مسألة مجاراة المراهقين إلى الأمور الآتية ...

أ ـ لا بأس أن نغض الطرف عن أي مظهر أو سلوك ما دام في دائرة المباح، وإن كان ممجوجاً لدى بعض الناس أو مستنكراً في بعض الأعراف.

ب ـ ينبغي ألا يُلحق سلوك المراهق الضررَ بأي شخص من الأشخاص ، وألا يعكر صفو أي إنسان صغير أو كبير ، قريب أو بعيد ، وهذه نقطة مهمة ، إذا إن إحدى متع المراهقين العمل على إثبات الذات والتدليل على الأهمية الشخصية من خلال الاستخفاف بمشاعر الآخرين والتسبب في نوع من الأذية أو الإهانة لهم .

ج ـ ما يمكن أن نأخذه على المراهق كثير ومتنوع ، ومن الصعب ومن غير الملائم أن ننبهه على كل صغيرة وكبيرة ، ولهذا فلنؤكد على الأشياء الفاقعة ، ومن أهمها ما كان يدخل في حيز الحرام ، وما هو من قبيل التقصير في واجب أو شيء اجتماعي مهم مثل التكاسل عن أداء الصلاة أو اقتناء صور أو مقاطع فيديو سيئة أو إباحية ، ومثل إهمال المراهق الاتصال بعماته وخالاته ...

أما الجنح والانحرافات الصغيرة ، فالأولى أن نفكر في علاجها على المدى البعيد .

٨ ـ علاقة أساسها الثقة المتبادلة :

الثقة بين الناس عامة وبين الآباء والأبناء خاصة شيء مهم للغاية ، وعلى مدار التاريخ كان الناس ينظرون إلى الثقة بينهم على أنها جزء عزيز من رأسمالهم الاجتماعي ، وينظرون لفقدها على أنه موحش ومؤذٍ، كما أن الناس تعلموا من تجاربهم الخاصة أن الأشخاص الموثوقين جداً ، هم قليلون جداً، وتعلَّم الآباء من خلال تجاربهم مع أبنائهم المراهقين أن الثقة المطلقة بهم لا تكون عاقبتها سوى المفاجآت المحزنة والصدمات المزعجة وأحياناً المدمرة !

ليس المطلوب من الأبناء وحدهم أن يكونوا أهلاً للثقة ، بل لا بد أن يكون الآباء والأمهات كذلك ، لأنهم يقدِّمون القدوة لهم ، ولا أدري كيف يمكن لمراهق أن يتصرف تصرفات مسؤولة ، وكيف يمكن أن يكون عند حسن ظن أبيه ، إذا كان أبوه لا يلتزم الصدق فيما يقول ، ولا يفي بالوعود التي يقطعها على نفسه لأبنائه ، ويحجب عنهم كل المعلومات المتعلقة بعمله وعلاقاته خارج المنزل ؟

الشيء الذي لا ينبغي أن يغيب عن البال هو أن الإنسان لا يكون موثوقاً إلا إذا كان يملك قدراً عالياً من الشعور بالمسؤولية ، ومن هنا فإن الحديث عن بناء الثقة بين الآباء والأبناء ،هو في الحقيقة حديث عن الشعور بالمسؤولية لدى الطرفين .

ولعلي أشير بإيجاز إلى ما هو مطلوب لهذا وذلك عبر المفردات التالية :

أ ـ من المهم قبل أن نعلِّم المراهق كيف يكون موثوقاً أن نكون نحن موضع ثقته ، وهذا يكون من خلال الآتي :

- الصدق في التعامل وتنفيذ الوعود التي نقطعها له .
- حفظ أسراره ، وعدم إفشائها لا تصريحاً ولا تلميحاً .

■ اعتماد المصارحة مبدأ ثابتاً، في مفاتحته في شؤون الأسرة .
■ بُعد الأب عن الادعاء والمبالغة في الفضائل والإنجازات الشخصية .
■ الاعتذار للمراهق عند الوقوع في خطأ لا يقبل الجدل .
■ الاستقامة الأخلاقية العامة تجعل الشخص ذا مصداقية حسنة، ومن المصداقية تولَد الثقة

ب ـ يتم بناء ثقة الآباء بالأبناء على نحو تدريجي ، فابن السابعة ـ مثلاً ـ لا يكون أهلاً لثقة الأهل بسبب ضآلة إمكاناته وبسبب قصوره في فهم مسؤولياته وضعفه في التفريق بين الخطأ والصواب والإيجابي والسلبي ، ومع الأيام ينمو كل ذلك ويتحسن وتتحسَّن معه ثقة الأبوين بالمراهق ، والحقيقة أن ثقة الآباء بأبنائهم المراهقين كثيراً ما تكون مهزوزة ، بسبب الكذب أو السرقة أو الاستغلال للغير أو النقص في تحمل المسؤولية أو النقص في التدين والاستقامة السلوكية، ويعبر عن هذه المشاعر أحد الآباء الذين يعانون في تربية أبنائهم إذ يقول : تطلب زوجتي مني أن أعامل ابني بثقة ، فهو بالغ وعاقل وقادر على إنجاز الكثير من الأمور ، لكنني لا أرى ذلك لأسباب كثيرة ، فابني مع أنه في الخامسة عشرة إلا أنه سريع الغضب ، وإذا رفضتُ له طلباً بكى وصاح وانفعل ، ولهذا فأنا لا أسمح له بأن يقود سيارة الأسرة ، لأنه إذا غضب وهو خلف مقود السيارة ، فقد يتسبب في حادث مروِّع ، وابني رغم اجتهاده في المدرسة وتفوقه إلا أنه لا يُعتمد عليه في قضاء حاجاته الشخصية فضلاً عن قضاء حاجات البيت ، تصوروا أنه لا ينظِّف أسنانه إلا إذا قمت أنا أو أمه بتذكيره.
ويقول أيضاً: في مرات عديدة قال لي ابني: أنا ذاهب إلى صديقي فلان حتى أذاكر معه للامتحان ، وحين أسأل صديقه يقول : لم أره اليوم ،

ويتبين أنه ذهب مع صديق آخر إلى السوق ، فكيف أثق به ؟!

ج - من المهم أن نتذاكر في الأمور التي تقوّي صلتنا بأبنائنا المراهقين ، ومن المهم أن نشرح لهم ما الذي عليهم أن يفعلوه حتى نعاملهم على أنهم موثوقون ، ومع أن كثيراً من الشكوك والظنون السيئة ، وكثيراً من المشاكسات سوف ينتهي مع الأيام ، إلا أنه ليس هناك أي مسّوغ لأن يعيش الإنسان عشرين سنة من عمره في عراك مع كل واحد من أبنائه الخمسة من وقت دخولهم في طور المراهقة إلى أن يصبحوا شباباً . ما الذي يا ترى علينا أن نشرحه للمراهقين حتى ننمي لديهم الشعور بالمسؤولية تجاه تصرفاتهم ، وحتى يصبحوا بالتالي في نظر الكبار موثوقين ؟

الحقيقة أن ما يمكن أن يقال كثير ، لكن يمكن أن أشير إلى الأمور التالية :

■ العشوائية مؤذية جداً في التعامل مع المراهق ، فمن المهم أن تكون العلاقة معه واضحة ومنظّمة ، ولا سيما ما يتعلق بالثواب والعقاب، إن من المهم أن يعرف المراهق بالضبط المكافأة التي تنتظره إذا أنجز ما هو مطلوب منه على نحو جيد ، وأن يعرف بالضبط العقوبة التي ستناله حين يقع فيما هو محظورعليه، يجب أن يعرف المراهق أن الحياة ليست سهلة وأنه ليس هناك حياة أسرية صحيحة خالية من كل القيود والشروط ، المهم ألا نقرر العقوبة بعد وقوع الخطأ مباشرة ، لأن هذا يجعل الفتى يشعر بأن معاقبته ليست سوى انتقام منه ، لكن حين تكون الأمور واضحة من قبل ، فإنه يتلقى العقوبة ، وهو يوبخ نفسه لأنه حين أخطأ كان يعرف أنه سينال جزاء خطئه.

■ المبالغة في تدليل المراهق وتلبية كل طلباته تجعل منه شخصاً اتكالياً، وتنمِّي لديه الشعور باللامبالاة ، وهذا يجعل شعوره بالمسؤولية ضعيفاً، ولهذا فمن المهم أن يسهم في تنظيف المنزل ، وأن يساعد أباه في بعض الأعمال، وأن يقوم بخدمة نفسه في كثير من الأمور ، وهذا هو الذي يجعل منه شخصاً مسؤولا، ويمكن الاعتماد عليه.

إن إبداء الملاحظات الكثيرة على سلوك المراهق ، والإكثار من طلب الخدمات منه، يسبّب له إزعاجاً بالغاً ، وقد يحمله ذلك على الكذب من أجل الدفاع عن نفسه ، وهذا كله لا يساعد على تنمية شعور أبيه نحوه بالثقة ، ومن هنا كانت علاقة المحبة والمودة مع الإشارة بطريقة غير مباشرة ـ ما أمكن ـ إلى أخطاء المراهق ... من الأمور التي تساعد على بناء الثقة به .

٩ ـ إكرام أصدقائه :

الكرم واللطف والاهتمام أمور جميلة في عيون كل الناس ، لكن المراهقين ينظرون إليها بحفاوة أكبر،ولا سيما حين تُوجَّه إلى أصدقائهم من قِبَل أسرهم ، وما ذلك إلا لأن للصداقة لدى المراهقين معنى أعمق بكثير مما هو موجود لدى الكبار ، المراهق حين يرى أباه يعود صديقه في المستشفى ، أو يرسل له بهدية بمناسبة نجاحه ، أوحين يسمع أباه يثني على أحد أصدقائه ، أو يطلب منه أن يدعوه إلى منزل العائلة .. المراهق في كل هذه الأحوال يشعر بمشاعر جميلة وعزيزة على نفسه ، منها الشعور بأنه أحسن في اختيار أصدقائه ، ولا سيما حين يتذكر أن من المراهقين من يتكتم على ذكر أسماء أصدقائه أمام أهله ، لأنهم ليسوا ممن يتشرف المرء بصحبتهم ، والحديث عنهم ... ومنها الشعور بالزهو على أصدقائه ، حيث يعتبر ذلك برهاناً جيداً

على ما يدعيه من أنه ينتسب إلى أسرة محترمة ولطيفة ومهتمة ، يقول أحد المعلمين: حين كنت في المرحلة الثانوية ، كان لي صديقان عزيزان من أبناء حيِّنا ، أحدهما اسمه أحمد والآخر اسمه سعد ، أما أحمد فقد رُزق بأم عظيمة بما تعنيه الكلمة ، وكان أعظم ما فيها اهتمامها بأولادها وبأصدقائهم، وكانت تؤمن بالعفوية المطلقة ، ولهذا فإن كان لديها أكلة نادرة ومكلفة مادياً فإنها كانت تؤكد على ابنها بأن يدعوني مع سعد إلى بيته ،وكان هذا يحدث مرتين في الشهر ، وأحياناً ثلاث مرات ، ولم تكتف باستضافتنا ،بل كانت ترسل معنا شيئاً من الطعام إلى أهلنا ، وقد كان كل من يسمع من الأصدقاء بما تصنعه معنا يُبدي إعجابه ، ويغبط أحمد على أنه ابن لتلك المرأة العظيمة . وأما سعد ، فقد كانت أمه امرأة عادية ، لكن كان أبوه متميزاً جداً ، وكان عذب اللسان وصاحب روح مرحة ، ولا أنسى ترحيبه بنا في بيته ومداعبته لنا ، وكان يقول : أنا أعرف أن دخولي عليكم سيكون ثقيلاً على قلوبكم ، لكن اسمحوا أن أجلس معكم دقيقتين ، ليس أكثر ، وفعلاً فبعد أن ينتهي من السؤال عنا وعن أهلينا ،وبعد أن يشجعنا على التفوق ينصرف إلى شأنه ، وقد أحببنا ذلك الرجل إلى درجة أنني طلبت منه أن يشفع لي عند أبي في ذنب أذنبته ، وقد فعل، ومن ذلك اليوم صار صديقاً لأبي . أما أنا فقد كان لي وضع مختلف ، فأبي كان لديه انتقادات كثيرة لي ولأصدقائي ، فنحن في نظره نضحك، ونلهو كثيراً ، ولا نفكر في المستقبل كما ينبغي ، وفي إحدى المرات أقام لنا نحن الثلاثة حفلة توبيخ لأن صديقيّ تأخرا في السهر عندي إلى قريب الساعة الواحدة . أما أمي فهي ليست ماهرة في الطبخ مثل أم أحمد ، ولم تكن ترتاح لمجيء أصدقائي إلى المنزل بحجة أن بيتنا ضيِّق،

كما أن لي أخوات في المنزل وليس من المناسب مجيء شباب إلينا .. لهذا وذاك فقد أسقطني أصدقائي من الحساب ، ولم يعد أحد منهم يطلب مني استضافته ، وقد كنت أحترق من الداخل ، وأشعر بالدونية ، بل إن صديقي أحمد كان يعيِّرني أحياناً بهذا ، المشكل أن أحداً من أسرتي لم يكن يشعر بما أشعر به .

هذه القصة تتكرر ألوف المرات مع كثير من الفتيان والفتيات ومن المهم التأمل فيها ، وأخذ العبرة منها .

١٠ ـ كل علاقات المسلمين فرع عن علاقتهم بالله ؛ تعالى :

هذه نقطة مهمة للغاية ، وقد أخَّرتُ الحديث عنها حتى تكون بمثابة الإطار لكل المفردات السابقة، إننا معاشر المسلمين كباراً وصغاراً ذكوراً وإناثاً عبيد لله ـ تعالى ـ وعبوديتنا سابقة على كل ما بيننا من علاقات ، فالزوجة والأم والبنت والعمة والخالة هي أخت في الإسلام قبل أي شيء آخر، والأب والخال العم ... هو أخ في الإسلام قبل أي شيء وإن استحضار هذا المعنى ضروري جداً لاستقامة علاقاتنا وبقائها دائماً معطرة بمعاني العبودية والموافقة لمرادات الله ـ جلَّ وعلا ـ والمفهوم بسيط للغاية ، فإذا كان ابني المراهق أخي في الإسلام ـ مهما كانت درجة بره بي ... ـ فهذا يعني أن عليَّ أن أعامله بأخلاق الأخوة الإسلامية ، وإن الله ـ عز وجل ـ من أسمائه الودود والرحيم والغفور والشكور والصبور والكريم ، فهو سبحانه يحب من عباده أن يكونوا شاكرين صابرين كرماء رحماء ... وهذه الصفات الكريمة تتجلى في تعامل الناس بعضهم مع بعض ، وإن أبناءنا وأهلينا هم أولى الناس برحمتنا وسترنا وعفونا وشكرنا ، وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى .

في البيوت آباء قساة يجلدون أبناءهم كما تُجلّد الدواب ، لأنهم لا

يعرفون مقتضى اسم الله الرحيم ولا مقتضى اسمه اللطيف ، وفي البيوت من إذا رأى من ابنه هفوة أو زلة عيَّره بها سنين طويلة لأنه لا يعرف مقتضى اسم الله الغفور وهكذا ...

إن الحديث عن نوعية العلاقة التي تربط الوالدين بأبنائهم المراهقين وبناتهم المراهقات ذو تشعبات كثيرة ، ولن أستطيع أن أقول كل ما أريد قوله خشية تضخم الكتاب ؛ والله المستعان .



■ توجيه المراهق

مهما نضج الإنسان ، ومهما ارتقى مستواه العلمي والأخلاقي ، فإنه سيظل في حاجة إلى النصح ، وستظل في سلوكاته ومواقفه مفارقات بين ما يفعله، وبين ما ينبغي أن يفعله ، وبما أن المراهق يمر بمرحلة تكوّن الرشد والرجولة ، فإن حاجته إلى التوجيه أشد من حاجة الراشدين .

من المهم أن ندرك معاشر الآباء أننا نوجه ونربي في ظروف مختلفة عن الظروف التي نشأنا فيها ، فالمراهق اليوم يشاهد سلوكيات المراهقين الغربيين ومساحات الحرية الواسعة التي يتحركون فيها ، كما يشاهد نماذج كثيرة لتنمرهم وتمردهم على آبائهم وأمهاتهم ، وهو يتأثر بكل ذلك تأثراً كبيراً وبطريقة غير واعية ، وإذا نظرت إلى ما ينتشر الآن من أشكال الملابس وقصات الشعر والسماع إلى الأغاني والموسيقى الغربية وأمور أخرى عديدة من هذا القبيل ، إذا نظرت إلى ذلك أدركت أن الخطاب المطلوب توجيهه اليوم للأبناء مختلف عن الخطاب الذي خاطبَنا به آباؤنا ،و هذا مع الإشارة إلى شيء مهم ، هو أن أساليب تربية آبائنا لنا لم تكن كاملة حتى نتخذ منها نموذجا، نحاكيه ونقلده . ما الذي علينا يا ترى أن نقوله للمراهق ، وكيف

نقوله ؟ وما الأوضاع التي يجب أن تسود حتى تؤتي توجيهاتنا ثمارها اليانعة ؟ هذا ما سأحاول توضيحه بإيجاز عبر المفردات الآتية .:

١ـ ما هو أهم من الكلام :

يشكو المراهقون بكثرة من أن آباءهم وأمهاتهم يسرفون في وعظهم ونصحهم ،وأن تكرار النصائح يعكر صفو حياتهم ، لأن فيها نوعاً من الاتهام المبطَّن لهم بأنهم أغبياء لا يفهمون الكلام أو متمردون ومعاندون، والحقيقة أن من الآباء من يسرف فعلاً في إبداء الملاحظات، لكن علينا أن نقول أيضاً: إن لدى معظم المراهقين درجة عالية من رهافة الإحساس مما يجعلهم ينزعجون من أمور لا ينزعج منها الراشدون . المهم على كل حال هو أن نتبين إلى أي مدى يكون تكثيف توجيه المراهقين مجدياً ومثمراً ؟ أنا شخصياً أعتقد أن جدواه محدودة ، بل إن الاحتياج إلى كثرة النصح دليل على وجود خللٍ ما في وضعية الأسرة ، وذلك لأن الجو الأسري الجيد يجعل الذي يحيون فيه من الصغار يتشربون المبادئ والقيم التي يحملها الكبار عن طريق المعايشة اليومية ، فإذا لم يكن الجو جيداً لجأ الأبوان إلى الإكثار من النصائح ، إذن كلما وجدنا الأمور تمضي على نحو جيد مع القليل من الحاجة للتوجيه دلّ هذا على أن البيئة الأسرية صحية وجيدة ، والعكس صحيح .

الآن عليَّ أن أوضح ما أعتقد أنه ملامح لجو أسري صحي وملائم :

أ ـ استقامة عامة على أمر الله ، وحرص من الجميع على أداء الفرائض والكف عن المعاصي مع التطلع إلى أن يكونوا أصلح و أتقى .

ب ـ يشكل الأبوان في نظر المراهقين والمراهقات قدوة حسنة في أمور

كثيرة ،وعليهما أن يكونا كذلك.

ج - تفاهم عام بين الأبوين على أسلوب تربية الأبناء

د - مسكن ملائم في مساحته لعدد أفراد الأسرة .

هـ - يشعر الأبناء بالارتياح حين يعودون إلى منزلهم ، ويشعرون بالانجذاب إلى الجلوس مع والديهم .

و ـ حرص على التفوق والنجاح لدى الصغار والكبار .

ز ـ الانشغال بالشأن الخاص عن التحدث في شؤون الناس ، والتوقي من الغيبة .

ح ـ درجة حسنة من التعاطف والاهتمام المتبادل بين جميع أفراد الأسرة .

ط ـ استعداد عام للاعتذار عند الخطأ .

ي ـ التشجيع والتحفيز، والشد على يد المحسن والناجح ، ونبذ اليأس والإحباط

٢ ـ الإنصات أساس التواصل :

لا يستغني المراهق عن توجيهات أبويه ، لكن التوجيهات مع القطيعة الشعورية تكون غير ذات جدوى ، وهذه نقطة قلما انتبهنا إليها ، إذ إن العلاقة الودودة بين الأب وابنه تمهِّد الطريق للإصغاء والتقبل ، وحين تسوء العلاقة بينهما لأي سبب من الأسباب فإن بلاغة الأب مهما كانت فلن تكون قادرة على قرع باب قناعة الابن . نحن إذن في حاجة إلى أن نتواصل مع المراهق، وبداية التواصل تكمن في أن نكون قادرين على الإنصات إليه والسماع منه ، وإن كان يقول كلاماً يصعب سماعه أحياناً . وهذه إشارات سريعة في مسألة الإنصات والتواصل :

أ ـ من المألوف جداً أن يكون المراهق قليل الكلام مع والديه ، إذ إن

من الملاحظ أن كثيراً من المراهقين يكونون مع أصدقائهم في هرج ومرج وضحك يُسمع من بعيد ، فإذا حضروا إلى بيوتهم أمسكوا عن الكلام ، بل إن بعضهم يُسأل عن العديد من الأمور ، ويكون الجواب لديه في الغالب هو أن يهز كتفيه ، ويقول : لا أدري ! المهم أن ندرك أن هذا من المراهق ليس موقفاً شخصياً ، إنه موقف أنتجه ضعف الاتزان الشعوري وشدة الارتباك الذاتي .

ب ـ في أحيان كثيرة تتحدث البنت إلى أمها وهي مقبلة على طبخ الطعام أو مشغولة بتنظيف حجرة من الحجر ، وفي أحيان كثيرة يتحدث الولد مع أبيه وهو منهمك في قراءة جريدة ، هذا ما تعوَّده كثير من الناس ، وهذا قد يكون مقبولاً لدى بعض الأولاد ، لكنه يعطي إشارة بعدم الاهتمام ، لكن وقع هذه الوضعية قد يكون مؤلماً في بعض الأحيان :

هذه فتاة حصلت على تفوق باهر على زميلاتها حين احتلت المرتبة الأولى في الامتحان، فجاءت إلى المنزل وهي تكاد تطير من الفرح وما أن دخلت المنزل حتى أخذت تصرخ، وتبحث عن والدتها ، وحين وجدتها قالت :أمي خبر ولا كل الأخبار ، شيء لا يصدق، وكان رد الأم فاتراً جداً حين قالت : ما الخبر ؟ قالت : ترتيبي في الامتحان الأخير كان الأول على زميلاتي ... فقالت الأم : المهم الامتحان النهائي بعد شهرين ، هناك يظهر فعلاً ما إذا كنت متفوقة ! إن هذا الموقف يسيء إلى مشاعر البنت إساءة بالغة ، ويُجهض فرحتها بتفوقها بطريقة فجة .

ج ـ في بعض الأحيان يتحدث المراهق بأشياء يكون صادقاً فيها، لكن لايليق التحدث بها ، ولا يكون هدفه هو إزعاج والده أو والدته ،

وإنما يستهدف تمرين نفسه على التحدث مع والديه في أي موضوع يشاء، وشيء جيد أن يتفهم الأبوان ذلك.

د ـ في كثير من الأحيان يجد الأب صعوبة بالغة في التحدث مع ابنه أو ابنته في موضوع من الموضوعات، وتجد الأم مثل ذلك، وفي هذه الحالة تكون استشارة أحد الأبوين لصاحبه والاستعانة به، شيئاً مثمراً، وربما فوّض أحدهما للأخر معالجة الموضوع والتحدث به مع المراهق.

هـ ـ من المهم أن نتعرف وجهة نظر المراهق، ونستوعبها على نحو جيد، وذلك في أي موضوع يطرحه، والذي يحدث هو أن كثيراً من المراهقين يتحدثون عن بعض المشروعات والقضايا بحماسة شديدة واهتمام استثنائي، وينتظرون من الكبار المشاركة في تلك الحماسة، والتفاعل مع مشاعرهم الجياشة، لكن الكبار بما لديهم من خبرة يدركون أن هذه الحماسة في غير محلها، وأن المشروع الذي يطرحه المراهق فاشل، ولا يستحق أي اهتمام، ولهذا يكون الرد فاتراً جداً، وأحياناً يدفع إلى اليأس، أحد الآباء أخبره ابنه أنه في الإجازة الصيفية سوف يتدرب على يد إعلامي كبير، وأنه خلال سنوات سيكون اسمه على كل لسان ... نظر الأب في وجه ابنه، وقال: خير إن شاء الله، موفق، ثم خرج من الغرفة دون أن يزيد على ذلك، وهنا انفجر الابن بالبكاء وأغلق عليه باب غرفته ...إن الإنصات لا يفتقر إلى الإصغاء للكلام المنطقي الموزون فحسب. بل يجب أن ننظر إليه على أنه وسيلة لإبقاء قنوات التواصل مع المراهق وللاستمرار في تأنيس مشاعره وترويضه.

٣ـ التشجيع غذاء الروح.

إن من مفردات الضعف البشري ذلك الشعورالملحُّ بالافتقار إلى

تقدير الآخرين واحترامهم وتشجيعهم ، وإذا كان ابن السبعين يشعر بذلك، فإن حاجة ابن الخامسة عشرة أكبر بكثير . نحن نرغب بقوة في الثناء والتحفيز لأننا غير متأكدين من نجاحاتنا وإنجازاتنا ، ولأننا أيضاً نود أن نعرف منزلتنا في نفوس من حولنا ،ومن هنا فإن تشجيع الأبناء والثناء على إنجازاتهم وإظهار الاهتمام بأي نجاح حقيقي، يجب أن يكون جزءاً مهماً وبارزاً في مخاطبتهم والتواصل معهم ، ولديَّ ملاحظات قليلة في هذا الشأن ، منها :

أ ـ بعض الناس يخاف من أن يؤدي الثناء على المراهق إلى تراخيه وتوانيه في بذل جهد أكبر ، وبعضهم يخشى من أن يؤدي ذلك إلى شعوره بالكبر والاستعلاء ؛ وهذا الحذر مشروع وواقعي لكن علينا أن نقول : إن الإسراف في الثناء بسبب وبغير سبب يمكن أن يتسبب فعلاً في شيء من ذلك ، ولهذا فإن التشجيع يجب ـ كما هو الشأن في كل الأشياء ـ أن يظل في إطار الاعتدال ، ويجب أن يكون على إنجاز وليس على صفة ثابتة ، أي أن نثني على تفوق الفتى وإنجازه ، وليس على ذكائه أو جماله أو قوته البدنية ، إن الثناء على هذه الأمور وأشباهها لا يحتمل معنى الحث على تحقيق المزيد ، ولهذا فلا ينبغي أن نقوم به .

ب ـ كل إنجاز يستحق التشجيع ولو كان أقل مما نتوقع ، لأن إمكانات الأبناء والظروف التي يواجهونها مختلفة ، وقد قال أحد المراهقين: كان يوم حصولي على الثانوية يوماً حزيناً بالنسبة إليَّ ، لأن أهلي كانوا يريدون مني أن أحصل على الدرجات التي تؤهِّلني لدخول كلية الطب ، لكن ذلك لم يحدث بسبب مرضي ليلة اختبار الرياضيات ، فتدنى مستوى درجاتي ، ودخلت كلية الهندسة ،إنني لم أتلق من أهلي أي تهنئة لأنني خيبت آمالهم ، وبقيت أسبوعاً مكتئباً على حين أن ابن

جيراننا رسب في الثانوية العام الماضي ، ونجح هذه السنة بمجموع أقل مني بكثير، ومع هذا فإن أهله احتفلوا به ، وقدموا له هدية نفيسة، هذا ظلم وإحباط . ومن المهم حين نشجع ، ونثني أن نجعل التشجيع صافياً ومفرحاً ، وإنما أقول هذا لأننا تعوَّدنا أن نقول للولد : الشيء الذي قمت به ممتاز، ولو سمعت النصيحة لفعلت ما هو أكثر منه ، كما تعودنا أن نقول : عملك الفلاني جيد ، والتحدي الكبير لم يأت بعد ، وحين تتجاوزه حينئذ تستحق فعلاً التهنئة .

ج ـ إن تشجيعنا للمراهق ومديحنا لإنجازاته ومواقفه يشكل بالنسبة إليه دعماً قوياً ، هو في أمس الحاجة إليه ، وذلك لأن المراهق كثيراً ما يخوض معارك صامتة ، نحن لا نعرف عنها الكثير ، فالمراهقون ـ مثلاً ـ كثيراً ما يشعرون بانخفاض الروح المعنوية ، وكثيراً ما يشكّون في مدى كفاءتهم لخوض غمار الحياة في المستقبل بنجاح ، كما أن بعضهم يعاني من ضغوط الدراسة والتكيف مع المواد ، وبعضهم يعاني من نبذ أصدقائه له وإعراضهم عنه... وحين يلقي المساندة من أهله يشعر بالأمان والطمأنينة .

د ـ لا ينبغي للتشجيع أن يقتصر على الكلام والمديح ، بل ينبغي أن يتجاوزه إلى تقديم بعض الهدايا المناسبة ، وكذلك التواصل معه عن طريق الجسد : الاحتضان ، مسك اليد ، الربت على الكتف ، المسح على الرأس ، الابتسامة ... إن التعبير عن المشاعر بهذه الوسائط مؤثر جداً في نفسية المراهق ، ولا سيما إذا تم ذلك أمام بعض الأقرباء أو أمام الضيوف ... وقد كان أحد المراهقين يقول : عوَّدني أبي حين كنت في الثالثة عشرة أن يأخذني معه إلى السوق لشراء بعض حاجات المنزل ، وكان طول الطريق يتحدث معي في موضوعات مختلفة ،

وكنت أُسرّ كثيراً للنقاشات التي تدور بيننا ، لكن أكثر ما كنت أطرب له هو وضع أبي يده في يدي كما يفعل صديقان حميمان ، قد كنت فعلاً أشعر بأنني أَحب الناس إليه ، وفي إحدى المرات رآنا أحد أصدقاء الوالد ، ونحن قادمان من السوق ، فقال : يا سبحان الله كم تحبان بعضكما !. باختصار المراهق يريد أن يُغمَر بكرم المشاعر حتى يحسّ بعمق الرابطة بينه وبين أبويه ، وهذا الكرم مطلوب من الأب أكثر من الأم لأن المراهقين والمراهقات قد تعودوه من أمهاتهم ، وصار مألوفاً لديهم .

٤ـ تثقيفه بالأحكام والآداب الشرعية :

من الواضح أن الجهود التثقيفية للأطفال تبدأ في وقت مبكر جداً ، إذ إن الطفل يستوعب بعض ما يقال له من بداية السنة الثانية من عمره ، والأسر المسلمة تلقن أطفالها بعض الأدعية والأذكار وهم في السنة الثالثة من أعمارهم ، ومن المعلوم أن الطفل إذا بلغ السابعة كان لزاماً على أهله أن يدربوه على أداء الصلاة، وحين يصبح في التاسعة يدربونه على صوم رمضان بصورة تدريجية ، وحين يدخل الطفل في مرحلة المراهقة ، أي في سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة يكون على الأهل أن يحدثوه عن الوضعية الجديدة التي صار على أبوابها ، إذ إنه في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة سيكون بالغاً ، والبلوغ يعني الدخول في مرحلة التكليف ، وقد صح عنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : ((رفع القلم عن ثلاثة : عن الصغير حتى يبلغ ، وعن النائم حتى يستيقظ ، وعن المجنون حتى يعقل ، أو يفيق)) إن المراهق لا يُعاقَب على التقصير في الواجبات ، ولا يصبح محاسباً على الوقوع في المخالفات إلا إذا احتلم أو بلغ ، لكنه إذا أتلف مالاً مملوكاً لأحد

الناس فإنه يضمن ما أتلفه ، ولو تورط في قتل شخص ، فإن عليه أن يكفِّر عن ذلك ، ويدفع الدية ، ويعد قتله من باب قتل الخطأ نظراً لكونه لم يبلغ .

المهم أن يفاتح الأب ابنه ، والأم ابنتها فيما يتعلق بشؤون الاحتلام والدورة الشهرية وكيفية التطهر بالإضافة إلى شرح ما يتعلق بأمر الصلاة والعورة والحجاب ... ومن المهم كذلك أن تكون هناك مفاتحة بالقدر المناسب حول مسائل الغريزة وميل كل واحد من أفراد الجنسين إلى أفراد الجنس الآخر ، وأن ذلك شيء طبيعي حتى يستمر الوجود البشري على هذه الأرض ، ولكن لا بد من الصبر والانشغال عن التفكير في هذا الأمر إلى أن يحين وقت الزواج . يلاحظ إلى جانب هذا أن لدى المراهقين ـ ولا سيما في هذا الزمان ـ درجة عالية من عدم الاكتراث بهموم الوطن وقضايا الأمة والتحديات التي تواجهها ، وأنا أفهم مسوغ هذا ، حيث إن المراهق مشغول أساساً بنفسه وهمومه، كما أن درجة النضج العقلي لديه لا تساعده على إدراك القضايا الكبرى لبلاده وأمته، ولكن إشراك المراهقين في النقاش الذي يدور في المجالس ، وتعمد سؤالهم عن مرئياتهم ، ينمي لديهم الإحساس والاهتمام بالقضايا الكبرى والعامة ، ويحفزهم على الاطلاع عليها

٥ ـ ساعده على اكتشاف ذاته :

مسألة معرفة الكبار والصغار بأنفسهم من المسائل المهمة للغاية ، وذلك لأن المرء حين يعرف إمكاناته ونقاط ضعفه وقوته ،كما يعرف ميوله وهواياته ... يستطيع أن يدير ذاته ، كما يستطيع استثمار طاقاته بشكل جيد ، ومن المؤسف أن وعينا بذاتنا لا يكتمل أبداً كما أن من المؤسف مرة أخرى أن الذين حولنا هم الذين يقومون بتعريفنا

على أنفسنا ، وكثيراً ما يخطئون في ذلك ! المراهق يحتاج من أبويه إلى الإرشاد والدلالة في هذا الشأن حتى لا تضيع الفرص العظيمة عليه، وحتى لا يقع في الأخطاء الفادحة أيضاً . وهذه بعض الملاحظات في هذه المسألة :

أ ـ لا يتقبل المراهق ما تحدِّثه به عن ذاته بيسر وسهولة ، فإذا قلت له : إنك ماهر جداً في الرياضيات ، ويمكن أن يكون لك شأن كبير في هذه المادة إذا أوليتها اهتمامك .. فإنه في الغالب لا يحمل كلامك على محمل الجد ، أو يقول في نفسه : أنا لا أحب الرياضيات ، وإن كنت آخذ فيها درجات عالية ،ومن هنا فإن من الأفضل أن نضع المراهق في ظروف يكتشف فيها نفسه بنفسه ، شجعه ـ مثلاً ـ على دخول مسابقة علمية في حل المسائل الرياضية المعقدة ، وإذا كان لدى المدرسة أو الجامعة برنامج يتولى فيه الطلاب الممتازون تدريس زملائهم المتعثرين ، فشجعه على التسجيل في ذلك البرنامج ليكتشف بنفسه بأنه يمكن أن يكون مدرساً ممتازاً للرياضيات في المستقبل .

ب ـ لدى كل إنسان نقاط قوة ، ونقاط ضعف ، فأنت تلمس لدى بعض المراهقين ، قدرة واضحة في الخطابة أو السباحة أو القيادة ، أو بناء العلاقات الجيدة أو الحفظ أو ضبط النفس ... ومهمتنا أن نرصد ذلك ، ونساعد المراهق على تنميته، وقد يكون من المناسب مشاورة بعض أساتذته والاستعانة بمعرفتهم به ، وإذا عدنا إلى التاريخ وجدنا أن بعض الآباء والأمهات والمعلمين سجلوا نجاحات عظيمة جداً في جعل المراهقين يعملون على تنمية مواهبهم وصقل مهاراتهم ، وقد حصلوا من وراء ذلك على خير عظيم ،ومما يذكر في هذا الشأن : أن مالك بن أنس ـ صاحب المذهب ؛ رحمه الله ـ حين كان مراهقاً رغب

في تعلم (الغناء) فقالت له والدته : يا بني إن الغناء إذا خرج من بين لحية وشارب ـ أي من فم رجل ـ لم يستحسنه الناس، ولكن اذهب إلى ربيعة بن عبد الرحمن ، فخذ عنه ، وتعلم منه الأدب قبل العلم. يقول مالك: فتركت المغنين،وتبعت الفقهاء،فبلغ الله بي ما ترى.

جـ- اكتشاف الذات يشتمل على معرفة الإيجابيات والسلبيات،ومن هنا فإن الأبوين يستطيعان تنبيه الأبناء إلى ما لديهم من صفات سلبية تؤثر في استقامتهم ونجاحهم،وهذه السلبيات كثيرة،فقد تكون العناد أوالإسراف أو الكبر أو عدم احترام الآخرين... المهم أن نتعلم كيف ومتى نوّجه النصح لهم،ومن خلال الملاحظة ندرك أن كثيراً من الآباء إذا رأوا سلبية لدى ابنائهم سارعوا إلى إبدائها دون التأمل في استعدادهم لتقبل النصح والتوجيه والتفاعل مع ما يسمعون. إن التحدث إلى المراهق حول سلبية لديه يجب أن يتم على انفراد وفي ساعة صفاء ، وبأسلوب لطيف ، وإن العجلة في هذا تضر أكثر مما تنفع ، أحد الآباء لاحظ أن ابنه قد كذب عليه حين قال له : إنه كان عند ابن خالته ، ثم تبين له أنه كان مع بعض أصدقائه في السوق ، واكتشف أنه كذب عليه مرة أخرى حين قال : إن أستاذ الفقه وبَّخه لأن شعره طويل ، ثم يتبين للأب أن ذلك لم يحصل،واكتشف كذبات أخرى من هذا النوع،وكان الأب حكيماً،فلم يُعلِم ابنه بشيء من ذلك على الرغم من مرور شهرين على أول كذبة كذبها عليه،إنه كان يتحين الفرصة المناسبة للمفاتحة،وقد جاءت الفرصة صباح ذات يوم حين قال الابن لأبيه أريد منك مبلغاً من المال حتى أقرضه لابن عمي،فأعطاه أبوه المبلغ وهو مستغرب من ذلك،وبعد السؤال تبين أن ابنه كان قد اقترض المبلغ من ابن عمه ، وقد أخذه من أبيه حتى

يسدده إياه ، هنا أخذ الأب ابنه وخرجا إلى حديقة قريبة من المنزل ، وبعد مداعبته وممازحته فتح معه الموضوع،ولم يرجعا إلى البيت حتى أخذ عليه العهد بعدم العودة إلى شيء من ذلك،وقد احترم الولد فعلاً ما قطعه على نفسه،واستقام أمره.

٦- التفوق ليس خياراً :

هذه هي الرسالة التي ينبغي أن يحاول كل أب وكل أم إيصالها إلى أبنائهم وبناتهم جميعاً،فنحن في زمان الأشياء المتفوقة والمتميزة ،أما الأشياء العادية،فقد فقدت الكثير من قيمتها،وإن الوضع في المستقبل سيكون أشد حيث ستحتدم المنافسة على موارد محدودة،ويكون البقاء حينئذ للأجود والأفضل والأسرع. يظن المراهق أنه إذا قال: إنه لا يحب الدراسة أو لا يحب القراءة أو الاستيقاظ المبكر في إجازة الصيف ... فإن على الأبوين موافقته في ذلك لأن عليهما احترام رغباته ، ويظن كذلك أن رغبات الإنسان تولد معه ، ولهذا فلا حيلة له سوى الخضوع لها، هذا الظن غير صحيح ، فالمسؤولية التربوية للأب تُلزمه بأن يوجِّه ابنه نحو ما يُصلحه ، وتلزمه بأن يحمله على ذلك ويحضه على الامتثال له ، كما أن رغبات الإنسان يمكن تعديلها وتهذيبها عن طريق التربية ، فالواحد منا يستطيع أن يوجه رغباته ويتحكم فيها ، ويستطيع اكتساب بعض العادات الجديدة ، ومن هنا فإننا نرى أن معظم أبناء الأسر المتعلمة تعليماً عالياً ينشؤون على حب العلم ، وينالون أرفع الشهادات ، كما أن كثيراً من أبناء الأسر غير المتعلمة لا يجدون في أنفسهم رغبة في التفوق أو إكمال دراستهم ، ومن هنا فإن على الأبوين أن يصرا على تفوق أبنائهم ، وحتى يؤتي ذلك الإصرار ثماره فإن من المهم مباشرة الآتي :

أ ـ حاول أن يدرس ابنك في مدرسة جيدة ، والمدرسة تكون جيدة إذا كان فيها توجيه أخلاقي حسن ، وإذا كانت جادة في تعليمها ، أي أن الطالب يجد نفسه مشغولاً بقوة خلال الأيام الدراسية ، ويجد أن التفوق فيها يحتاج إلى جهود كبيرة .

ب ـ حاول أن يبتعد ابنك عن صحبة الطلاب الكسالى والمهملين ، وأولئك الذين لديهم تطلعات للعمل في مهن آبائهم ، لأن الأصحاب كثيراً ما يؤثِّرون على بعضهم في مسألة الخروج من المدرسة .

ج ـ التفوق مرتبط بالتركيز ، ولهذا فإن من المهم اكتشاف المواد التي يحبها الابن، ويملك فيها قدرات عالية ، وذلك حتى نساعده على الاهتمام بدراستها على نحو خاص جداً . ولا شك أن الدرجة التي يحصل عليها ،بالإضافة إلى رأي أساتذته ، مما يساعد في مسألة الاكتشاف .

د ـ للتفوق اليوم تكاليفه المتصاعدة ، ويجب أن نستعد في وقت مبكر لدفع تلك التكاليف ، ويتمثل أولها في التخطيط لدراسة الأبناء ، وذلك من خلال توفير نسبة من الدخل ووضعها في حساب خاص بتعليم الأبناء ، وقد اتبع بعض الآباء هذا الأسلوب ، ولمسوا فائدته الكبيرة ، ثم إن التفوق يحتاج في بعض الأحيان إلى شراء مراجع وحضور دورات علمية والسفر إلى بعض البلدان وأمور أخرى من هذا القبيل ، وينبغي أن ننفق على هذا بسخاء ، فالله ـ جل وعلا ـ يخلفه ، وهو على كل حال استثمار ناجح جداً .

هـ ـ تحدَّث دائماً مع ابنك عن المستقبل وحدِّثه عن حاجة أمة الإسلام الماسة إلى الرجال الأفذاذ والعلماء الكبار ، وافتح وعيه على سِيَرْ وتراجم بعض أعلام هذه الأمة وأعلام الأمم من حولنا ، واشرح له

عن أخلاقهم وجهودهم على دروب المعالي والإبداع ، وإذا استطعت أن يصحبك في زيارة لبعضهم بين الفينة فالفينة ، فافعل ، فإن للقاء بالعظماء تأثيراً كبيراً في النفوس .

إن في إمكاني أن أعرض لأمور عديدة أخرى في مسألة توجيه المراهق، لكن خشيتي من تضخم هذه الرسالة تجعلني أتوقف عند هذا الحد ؛ ولله الأمر من قبل ومن بعد .



كيف نساعد المراهق ؟

يملك الأبوان عاطفة جياشة تجاه كل أبنائهم الصغار والكبار ، وهما لا يحتاجان إلى توصية من أحد في إيلاء الأبناء والبنات المزيد من الرعاية والاهتمام ، لكن الذي ينقصهما في العادة هو الخبرة والدراية بالأساليب الجيدة التي يجب اتباعها في ذلك .

المراهقون فعلاً يحتاجون إلى مساعدة ، ويحتاجون أيضاً إلى من يصبر عليهم، ويراعيهم ويسايرهم كما يحتاجون إلى من يحميهم من رفقاء السوء، ومن المخاطر التي يجدونها حيثما توجهوا ، وقد ذكرت أن المراهقة مرحلة انتقالية بين الطفولة والرشد ، ولهذا فإن من غير المناسب ترك المراهق يواجه صعوبات الحياة من غير مساندة أهله وحمايتهم ولا سيما أننا نعيش في زمن كثير التعقيد وكثير المفاجآت ، كما أن كثيراً من الناس باتوا يسكنون اليوم في مدن كبرى وعملاقة مما يجعل الأبناء يختلطون بعدد كبير من الناس الذين لا يعرفون عنهم أي شيء .

الحماية للمراهق مطلوبة ، لكن علينا أن ننتبه إلى أن المراهقين ينظرون إلى حرصنا على حمايتهم على أنه دائماً مبالغ فيه ، وأنه يعبر عن مخاوف متوهمة، ولهذا فنحن إذ نحاول حمايتهم نكون متطفلين عليهم ، كما أن الإفراط في أي شيء يشبه التفريط فيه ، فالحماية الزائدة تحرم الطفل

من الشعور بالمسؤولية ومن اكتساب الخبرات التي توفرها المخاطرة . إذن يكمن الصواب في أن نخلط شعورنا بالثقة بالمراهق مع توجيهاتنا الحمائية ومع الإجراءات التي نحاول من خلالها المحافظة على أمنه وسلامته ، وينبغي أن نكون مستعدين دائماً للتراجع خطوة إلى الوراء في كل ذلك . المراهق يحتاج إلى أشكال من حمايتنا ، لعل من أهمها الآتي :

١ - الأمن الشخصي للمراهق :

كثيراً ما يقع المراهقون في مشكلات كبرى ، ويتعرضون لمخاطر جمة لأنهم يعتقدون أنهم في مأمن،وأنهم لا يُخدعون، ولهذا فإن علينا أن نرسِّخ في وعيهم أن هناك مجرمين محترفين ، وأن كثيراً من الراشدين الناضجين وقعوا ضحية غفلتهم أو تساهلهم في بعض المواقف، وعلينا أن نشرح لهم بعض القواعد والملاحظات التي يتبعونها في تعاملهم مع الناس والأشياء حتى يكونوا بعيدين عنها، ومنها :

أ ـ عدم الموافقة على الركوب مع أي شخص لا يعرفه الابن .

ب ـ إذا غلب على ظنه أنه يواجه خطراً ، فليستجيب لحدسه ، وليطلب المساعدة من الشرطة أو أقرب شخص إليه ، وإنما أقول هذا لأن بعض المراهقين يشعرون بأنهم في مواجهة مأزق خطير لكن ثقتهم الزائدة بأنفسهم مع ما لديهم من كبرياء تمنعهم من طلب المساعدة .

ج ـ حذِّره من الركوب مع صديق يقود سيارته وهو ناعس ، أو يقود سيارته بتهور أو بطريقة استعراضية كما نشاهده كثيراً في هذه الأيام .

د ـ حين يسير ابنك في منطقة خالية من الناس ـ ولا سيما في الليل ـ فحثه على أن ينتبه إلى ما يحيط به ، وليحذر من التكلم في الجوال ، وهو يتحرك، فقد يخطف الجوال من يده ، وقد يعتدي عليه أحد دون أن ينتبه

إليه .

هـ ـ السير في الأماكن المزدحمة المضاءة ، يكون في العادة أكثر أمناً من الشوارع الضيقة والمظلمة .

و ـ إذا وجد الابن أن هناك من يتبعه ، فليحاول دق الجرس عل أحد الأبواب القريبة ، وطلب المساعدة ، أو ليسرع الخطى إلى منطقة مزدحمة .

ز ـ إذا كان ابنك يسير في الشارع ومعه شيء ثمين : جوال أو ساعة أو مبلغ كبير من المال ، فليحاول إخفاءه عن الأعين ، وإذا تعرض للسرقة من شخص أقوى منه أو مسلح ، فالأفضل ألا يقاوم وعوضاً عن ذلك ليدقق في ملامح من اعتدى عليه حتى يتم إبلاغ الشرطة عنه .

حذره من أن يعطي تفاصيل عنوان بيتك أو أي معلومات مهمة عن الأسرة لأي شخص لا يعرفه معرفة جيدة ، كذلك عليه ألا يعطي رقم هاتفه لأي شخص أو رقم هاتف المنزل لغير أصدقاء الأسرة

ح ـ يجب أن يكون لدى الأسرة علم بالمكان الذي توجَّه إليه ، وإذا ذهب إلى مكان آخر ، فعليه أن يخبر أهله.

ط ـ أعطه أكثر من خيار للاتصال بالأسرة أو بالأصدقاء في حالة الخطر .

ي ـ تعلُّم ابنك لبعض أنواع الرياضة ومهارات الدفاع عن النفس سيزيد ثقته بنفسه ، وسيجعله يشعر أكثر بالأمان ، وقد يحتاجها في موقف من المواقف الصعبة .

٢ ـ حماية المراهق من الأشخاص العدوانيين :

لو عدنا بذاكرتنا إلى الوراء، وتأملنا في أوضاعنا وأوضاع زملائنا أيام المراهقة ،لوجدنا أنه كان بيننا دائماً أشخاص يتجرأ عليهم زملاؤهم

أو جيرانهم أو بعض أصدقائهم مما يجعلهم موضعاً للاستهزاء والسخرية والاستخفاف والنبذ بالألقاب ، وقد يصل الأمر إلى الإيذاء الجسدي .

النقد قد ينصب على لون المراهق أو على شكله أو ملابسه أو على عجزه عن ممارسة الرياضة أو على فشله في الدراسة ، أو على القبيلة أو المنطقة التي ينتمي إليها .. هذا التنمر الذي يتعرض له المراهق قد يدفع به إلى الانطواء واحتقار الذات ، وقد يجعله يصاب بالاكتئاب، ويصبح معوقاً نفسياً . المشكل هنا هو أن كثيراً من المراهقين لا يُخبرون أهليهم عن معاناتهم ، فهم يتجرعون مرارة النبذ بصمت ، لكن الأسر التي يكون بين أفرادها درجة جيدة من التواصل والمفاتحة تعرف في العادة ما يتعرض له أبناؤها خارج المنزل ، وتعمل على مساعدتهم.

كيف تستطيع حماية ابنك من المتنمرين ؟

أ ـ حاول أن تعرف بالضبط شكل العدوان أو التنمر الذي يتعرض له ابنك .

ب ـ اكتب لديك قائمة بأسماء الذين يتنمرون عليه .

ج ـ إذا كان المتنمر من أبناء الجيران ، فكلم والده ، وقل له : سأتصل بك بعد ثلاثة أيام لأعرف الإجراء الذي قمت به لمعالجة شكواي .

د ـ إذا كان المتنمر أو العدواني من زملاء ابنك في المدرسة ، فاذهب إلى المرشد الاجتماعي أو الطلابي أو مدير المدرسة ، واطلب منه التحقيق في الموضوع ، والقيام بما ينبغي القيام به .

هـ ـ قبل أن تغادر المدرسة خذ موعداً ممن شكوت إليه كي تسأله عن الشيء الذي فعله لكف المتنمرين .

و ـ تأكد في كل الأحوال من أن شكواك لا تعرِّض ابنك إلى مزيد من

التنمر أو إلى الانتقام .

ز ـ اجعل ابنك يعود من المدرسة مع اثنين أو ثلاثة من الزملاء أو الأصدقاء المخلصين حتى يوفروا له نوعاً من الحماية .

ح ـ عزز ثقته بنفسه ، وقل له : أنت تملك الكثير من الصفات الجيدة التي يفتقدها الذين يسيئون إليك ، والأيام سوف تكشف ذلك .

ط ـ ساعده على أن يتجاهل التعليقات والتعبيرات السيئة ، وليكتف بنظرة استهجان .

ي ـ إذا تعرض لأذى مفاجئ ، فينبغي أن يكون مستعداً للصراخ وطلب المساعدة أو الهرب عند الحاجة .

ك ـ الرويَّة والأناة والهدوء والتأمل أمور مطلوبة في معالجة كل المشكلات .

٣ـ حماية المراهق من مخاطر (الإنترنت) :

لن نكون مبالغين إذا قلنا : إن الإنترنت هي أهم منجزات القرن العشرين ، وأعظمها شأناً ، وهي خطيرة ومخيفة على مقدار ما هي نافعة ومفيدة ، إن كل تقنية جديدة تضع بني الإنسان أمام اختبار جديد ، ينجح فيه قليلون ، ويرسب فيه كثيرون ! إن في إمكانك ألا تُدخل التلفاز أو الأطباق اللاقطة والمذياع وأي مجلة وأي وسيلة إعلامية أو ترفيهية إلى بيتك لكن من الآن فصاعداً لن تستطيع منع (الإنترنت) من ذلك ، بسبب أن المدارس والجامعات وكثيراً من أماكن العمل ، باتت تفرض على المنتسبين إليها أن يكون لكل واحد منهم بريد إلكتروني ، ومن ثم فإن العمل على حماية الأولاد والأسر عامة من مخاطر الإنترنت صار من الأمور المستعجلة والملحة . إن على الإنترنت مليارات الصور الفاضحة ، ومئات الألوف من المتجولين

الذين يبحثون عن فريسة يصطادونها ، قد كنا في الماضي نخاف على الطفل إذا خرج من المنزل ، أما اليوم فإن المخاوف صارت في كل ركن من أركان منازلنا !

الآن هذه مبادئ وقواعد أولية يمكن أن تساعدنا في حماية المراهقين من مخاطر الشبكة العنكبوتية :

أ ـ إن نجاحنا في حماية أبنائنا من الإنترنت سيتوقف دائماً على استجاباتهم لإرشاداتنا ، وستظل استجاباتهم مرتبطة بما زرعناه في نفوسهم من تقوى وورع وبدرجة المصارحة والمفاوضة والثقة التي استطعنا تحقيقها في علاقاتنا بهم .

دلت دراسة علمية على أن ٥٤٪ من المراهقين على إحدى الشبكات الاجتماعية تطرقت أحاديثهم إلى موضوعات تعتبر محظورات في نظر المجتمع ، وتؤكد دراسات عديدة أن النسبة الأكبر من الأطفال المستخدمين للإنترنت يملكون أكثر من بريد الكتروني دون علم أولياء أمورهم حتى يخفوا عنهم كل الأشياء السيئة ، كما دلت دراسات أخرى على أن كثيراً من المراهقين يدخلون غرف الدردشة ويتحدثون مع غرباء للتعارف على الرغم من جهلهم بهُويَّة من يتحدثون إليهم ، مما يعرِّضهم لمخاطر حقيقية من خلال أخذ مواعيد مع الفتيات والحديث في الأمور الجنسية والحديث في المخدرات.

ب ـ بعض الأسر المثقفة والواعية وجدت أن أفضل طريقة لحماية أبنائها من مخاطر الإنترنت تكمن في كتابة عقد بين الأبوين وبين الأبناء ، تنص مواده على شروط وآداب استخدام الإنترنت حيث

يعطي الأبناء العهد بالالتزام بها على نحو مطلق، ومن أهم ما نصت عليه تلك العقود الآتي :

ـ التواصل المستمر مع الأبوين أو أحدهما حول المواقع التي يمكن أن أدخلها ، والالتزام بالوقت المحدد لي يومياً للدخول على الإنترنت .

ـ عدم إعطاء معلومات شخصية مثل اسم موقع مدرستي أو أرقام بطاقات ائتمان أو عنوان عمل الوالدين أو عنوان منزلنا لأي شخص كان من غير إذن من والديّ

ـ إعلام والدي بأي شيء سيِّيء أو فيه تهديد ، أشاهده ،أو يأتيني عبر البريد الالكتروني .

ـ الامتناع عن عمل أي شيء يكلف مالاً دون إذن مسبق .

ـ عدم إرسال صور لي أو لأي فرد من أفراد العائلة إلى أشخاص آخرين دون معرفة أبويّ .

ـ عدم الموافقة على مقابلة أي شخص تعرفت عليه عبر الإنترنت إلا بعد إخبار أبويّ.

ـ التصرف بشكل جيد على الإنترنت وعدم القيام بأي عمل يسيء إلى الآخرين ،أو يخالف القانون .

هذه الاتفاقية تكون قابلة للتنفيذ في حال وجود درجة ممتازة من التواصل والعلاقة الحميمة بين الأبوين والمراهق ، أما إذاكانت العلاقة ليست كذلك ، فإن المراهق لن يلتزم بها ، وسيجد أنها تشكل لوناً من الاستعباد له.

جـ ـ شجع الابن والبنت على استخدام اسم محايد لا يدل على أنه ذكر أو أنثى مثل : نور الصدق ، أو الضوء الخافت ، أو طريق

الفلاح.........

د ـ وضع الأجهزة التي فيها إمكانية الاتصال بالإنترنت في صالة عامة ، وليس في الغرف الخاصة ، حتى يسهل الاطلاع على ما يتم الدخول عليه .

هـ - أداء الفرائض وتحضير الدروس وكتابة الواجبات اليومية لها أولوية مطلقة على الدخول على الإنترنت

٤ـ حمايته من قرناء السوء :

هذه مسألة في غاية الأهمية، حيث إن المراهقين ينجذبون ـ كما أشرت من قبل ـ إلى بعضهم بطريقة عجيبة ، والقاعدة العامة في هذا هي : كلما ضعفت رابطة المراهق بأسرته قويت رابطته بأصدقائه ، وكلما قويت رابطته بأسرته صار التأثير السيِّء لأصدقائه فيه أقل ، وظل تحت السيطرة. الحقيقة أن التأثيرات السلبية لرفقاء السوء كبيرة للغاية، وهي تتجلى في عدد من الأمور، منها :

أ ـ يؤثر الرفاق السيئون في إدراك المراهق للأشياء ، وهذا التأثير يكون متدرجاً ومتعاضداً ، فهذا يقول له : والدك متشدد ، وآخر يقول له: أنا أبي يثق بي أكثر من ثقة أبيك فيك ، وثالث يقول : والدتك تتتبَّع حركاتك وكأنك طفل صغير ، ورابع يقول : نحن المراهقين مظلمون من قبل أسرنا ، مع أن آباءنا لما كانوا في مثل أعمارنا كانوا يفعلون الكثير من الأمور السيئة ... وهكذا مع الأيام تتغير نظرة المراهق للحياة والأحياء ، وتكبر الفجوة بينه وبين أهله ، ويدخل في مرحلة المعاندة والمشاكسة ، إلى درجة استحسان كل ما يقوله عنه أهله إنه سيِّء ...

ب ـ في دراسة أجريت عام ١٤٠٩ على نزلاء إحدى دور الملاحظة

ظهر أن ٧٣٪ من الأحداث قد ارتكبوا أفعالهم الانحرافية بمشاركة آخرين ، وأعتقد أن النسبة الحقيقية قد تكون أكثر من ذلك ، يقول أحد الشباب: حين أنظر في سلوكي وأحوالي أيام الدراسة في الثانوية والجامعة يتبين لي أن كل الأخطاء السلوكية التي وقعت فيها كانت بسبب قرناء السوء الذين ابتليت بهم على الرغم من التحذيرات الشديدة التي كان يقدمها لي أخي الكبير .

ج ـ الإخفاق في المدرسة والانسحاب من الدراسة مظهر آخر من مظاهر تأثير الرفاق ، ولدينا ما لا يحصى من الحالات التي تراجع فيها المستوى الدراسي لبعض الفتيان بسبب مصاحبتهم لفتيان كسالى ، ولدينا أيضاً ما لا يحصى من الحالات التي ترك فيها بعض المراهقين المدرسة ، بسبب مصاحبتهم لفتيان تركوا المدرسة ،وانخرطوا في بعض المهن إنهم يقولون: إن ما يتقاضونه من أجر الآن وقبل حصولهم على الثانوية ،هو أكبر مما يتقاضاه بعض الخريجين من الجامعة، ولهذا فإكمال الدراسة تعب وعبث لا معنى له ، وهذا الكلام عبارة عن فخ كبيراً جداً وقع فيه كثير من الفتيان . إن الكسول يحب من أصحابه أن يكونوا كسالى مثله ، وإن الذي ترك المدرسة يحب من أصحابه أن يتركوا مدارسهم حتى لا يجدوا في أنفسهم أي نقطة تفوق ، يمكن أن ينظروا إليه من خلالها بازدراء .

د ـ إدمان المراهقين للدخان والكحول والمسكرات وما يصاحبه من انحطاط في الخلق وضعف في التدين ، كثيراً ما يكون بسبب قرناء السوء ، إنهم يعرضون عليه السيجارة ، فإذا أبى ألحوا ، وقالوا جرب، وإذا لم تُحدِث في نفسك شيئاً جميلاً ، فلا تتناول الثانية ، وإذا رفض الثانية فربما اتهموه بنقص الرجولة والعجز والخوف من شيء

لا يخاف منه أحد .. وتدل دراسات كثيرة جداً على أن معظم الذين عادوا إلى التدخين وإلى المخدرات والمسكرات بعد أن أقلعوا عنها كانت عودتهم بسبب رفاق السوء ، ولهذا فإن حماية الأبناء منهم تعد مسألة محورية للغاية .

كيف تحمي الأسر أبناءها من رفاق السوء ؟

١ـ من المهم ونحن ننظر في أحوال أصدقاء أبنائنا ألا نبالغ في سوء الظن ، وألا نقسو في الحكم ، ونحن ـ لا شك ـ نتمنى لأبنائنا أن يصحبوا أفضل الناس في كل شيء ، لكن هذا لا يتيسر في كثير من الأحيان ، ولهذا فإن علينا ونحن نحاول حماية أبنائنا من الأشخاص السيئين ألا نتشدد في المعايير إلى درجة أن يجد الولد نفسه من غير أي صديق ، وهذا بالنسبة إليه مؤلم جداً ومحبط ، المهم أن يكون صديق الولد في مثل مستواه أو أفضل منه قليلاً ، وعلى كل حال فهذه المسألة من المسائل الشائكة والدقيقة .

٢ـ إن أفضل طريقة لحماية المراهق من الرفاق السيئين هي أن نبحث له عن أصدقاء صالحين ومتفوقين ، حيث قد ثبت أن العثور على صديق جيد لابنك أسهل بكثير من تخليصه من شلة سيئة وقع في شباكها، ومن هنا فإن النظرة الاستراتيجية تقضي أن يفكر المرء ملياً في الأشخاص الذين يصاحبهم ويصادقهم لأن أولادهم قد يصبحون أصدقاء لأبنائه، كما أن على المرء أن يفكر أيضاً في الحي الذي سيسكن أو يبني فيه لأن أبناء الحي سوف يختلطون بأبنائه ، ويدرسون معهم في مدرسة واحدة . إن التحاق الأطفال والمراهقين بحِلق تحفيظ القرآن الكريم في المساجد كثيراً ما يوفر لهم حصانة من مخالطة فتيان سيئين أو بعيدين عن الجو الإيماني والأخلاقي الذي نبحث عنه ، كما أن هناك الآن من ينظمون

رحلات داخلية ودولية، ويقيمون الدورات والأنشطة والمخيمات الجيدة، والتي يمكن للمراهق أن يستفيد منها فوائد لا تُقدَّر بثمن.

هناك مجموعات من الأصدقاء الذين يقيمون بعض الأنشطة الثقافية والرياضية والترفيهية، ويجعلون أبناءهم يشاركون فيها، وخلال تلك الأنشطة يتم التعارف بين الأبناء؛ والأهل من جهتهم يشجعون ذلك، وهذا شيء جيد

٣ـ إن كثيراً من الآباء يبحثون لأبنائهم عن مرشد ومؤدب صالح وفَطِن يتولى تهذيبهم والارتقاء بشخصياتهم، وهو لشدة اختلاطه بهم يستطيع نقل صور حية عنهم لآبائهم وهذاشيء حسن،لكن وجود المؤدب لا يغني عن وجود أصحاب أخيار، وإنما يخفف من شدة طلب المراهق للخروج خارج المنزل، ومن التشوق إلى بناء علاقات مع فتيان لا نعرف عنهم أي شيء.

٤ـ قد يكون من الصواب أن نشجع المراهق على توسيع دائرة صداقاته بما لا يؤثر على دراسته، وإنما نقول هذا لأن المراهق حين يتعرف على عشرة من الفتيان أو خمسة عشر، فإن هناك احتمالاً أكبر لأن يعثر بينهم على اثنين أو ثلاثة يحملون نفس القيم التي ربيناه عليها، ونفس الآداب التي أدبناه بها، وإذا كان هذا غير ممكن فعلينا أن نكون أكثر يقظة حيال الصداقات الضيقة، فالفتى الذي لا يكون له إلا صديق أو صديقان يتأثر بهما تأثراً كبيراً، ومن المهم جداً أن يكونا جيدين.

٥ـ إن بعض المراهقين يلجؤون إلى قرناء السوء، أو يقعون في مصيدتهم بسبب الفراغ الذي يشعرون به، وهذا كثيراً ما يحصل بسبب سهولة الدراسة والنجاح في معظم المدارس والجامعات، ومن هنا فإن شغل أوقات فراغه واستهلاك طاقته بشيء نافع يُعدُّ

شيئاً مهماً ، وإن من الأمور المفيدة الانخراط في عمل تطوعي لصالح جهة من الجهات الخيرية ، ودخول بعض الدورات العلمية والاهتمام بتخصص فرعي أو محاولة اكتساب مهارة من المهارات ، كما أن من الأمور المفيدة أيضاً أن يعمل بدوام جزئي ساعتين أو ثلاث ساعات في اليوم ، ويكون هذا مرغوباً فيه بشدة حين تكون الأسرة في وضع مادي حرج وكذلك في إجازة الصيف ، وفي حالة رغبة الفتى في تعلم مهنة معينة . إن الفراغ أفسد الكثير والكثير من الشباب ، ويجب أن نساعد المراهق على ملئه بشيء مثمر .

٦ـ حاول أن تسأل أبناءك عن ردود أفعالهم على بعض تصرفاتهم وتصرفات أصدقائهم لتكتشف مواقفهم تجاه أخطاء الرفاق ، ولترسِّخَ القيم والمبادئ الأساسية في نفوسهم ، وبعد سماع الأجوبة يمكن إجراء شيء من النقاش حولها، وتوضيح ما يحتاج إلى توضيح، ومن تلك الأسئلة :

ـ ما رد فعلك إذا تبين لك أن صديقك يدخن ؟

ـ كيف تكون نظرتك إلى صديقك إذا وجدت أنه يدخل على مواقع إباحية على الإنترنت ؟

ـ إذا طلب منك صديقك مساعدته على الغش في الامتحان فما جوابك على طلبه؟

ـ طلب منك صديقك أن تقترض من أبيك مبلغاً كبيرا من المال ، وتعطيه إياه دون أن يعرف أبوك أن المبلغ لصديقك ؟

ـ إذا طلب منك صديقك مقاطعة بقية الأصدقاء، أو كان ينم لك عليهم بصورة دائمة ، كيف تتصرف ؟

٥ـ حمايته من التحلل الخلقي :

نحن اليوم نعيش في عصر (ثورة المزاج) حيث المغريات أشكال وألوان وحيث السعي الحثيث لإرضاء النزوات وإشباع الرغبات، وإن البث الفضائي الإباحي بالإضافة إلى ما هو موجود على الإنترنت من أشياء إباحية ومن إمكانية لتواصل الشباب بالبنات ، إن كل ذلك قد دمر الأخلاق والعفة لدى أعداد هائلة من الجنسين!

إن حماية المراهقين من التفسخ الأخلاقي مسؤولية اجتماعية عامة ، لكن سيظل للأبوين الدور الأهم في ذلك بسبب سلطتهما وقربهما من المراهق وفهمها لحاجاته وأوضاعه ، وهذه بعض المقترحات الموجزة لتوفير الحماية له مما أشرنا إليه :

أ ـ كانت مخاطر التلوث الأخلاقي في الماضي موجودة خارج البيوت ، أما اليوم فهي موجودة في كل مكان حتى في غرف النوم ، ومن هنا فإن حماية الأولاد من التحلل الخلقي تكون أولاً بتوفير جو أسري يعبق بالحب والحنان والتواصل والإحساس المشترك ، حتى يشعر الأولاد والبنات جميعاً بالثراء الروحي والعاطفي ،وإن لدينا ما لا يحصى من الدراسات التي تدل على أن كثيراً من الفتيان والفتيات يبحثون عن الاتصال بالجنس الآخر من أجل إرواء ظمأ عاطفي تسبَّب به الجفاء الموجود داخل بيوتهم .

ب ـ إن بعض الكبار في الأسرة يفتحون وعي الأطفال والمراهقين على الأمور الجنسية من خلال تحدثهم مع بعضهم ومع ضيوفهم بكلام مشحون بالنكات والتلميحات الجنسية ، وهذا يُشعل أشواق المراهقين والمراهقات إلى الاطلاع على ما خفي عنهم من شؤون الجنس الآخر ، ولهذا فلا بد من الحذر الشديد .

ج ـ كثير من المراهقين اليوم مع أنهم ينتمون إلى أسر مسلمة ملتزمة

إلا أنهم يعانون من فراغ روحي كبير حيث قلة التنفل والغفلة عن الله ـ تعالى ـ والدار الآخرة ، كما أنهم يعانون من فراغ فكري مماثل، فهم من غير أهداف ولا طموحات ، ولا يفكرون في شؤون الأمة أو الوطن ، بل لا يفكرون فيما يلاقيه آباؤهم من عنت في تأمين حاجات الأسرة ، وهذا كله يدفع بهم إلى التفكير في الأمور الجنسية، لذلك فإن تدعيم الجانب الروحي لدى المراهقين إلى جانب إشغالهم بالأمور السامية ، مما يقلل من مخاطر تعرضهم للتلوث الخلقي ، ومن المهم أن تنشأ شبكة اجتماعية للتعاون بين رجالات الدعوة والإعلان والتعليم والأسر في حماية المراهقين من مشكلات الجنس والمخدرات والانحراف الفكري...

د ـ إن اختلاط المراهقين بالمراهقات هو أشبه بوضع النار إلى جانب (البنزين) ولهذا فلا بد من الحذر منه وتوقيه على قدر الإمكان .

هـ ـ راقب حركة ابنك خارج المنزل ، فالأماكن الموبوءة والفاسدة والمشبوهة تتكاثر باستمرار ، وإن تحسين درجة صلاح الأبناء هي الضامن الأساسي ـ بعد حفظ الله تعالى ـ لبعدهم عن تلك الأماكن ، ولكن لا بد مع وجودها من اليقظة وشيء من المتابعة .

و ـ من الأفضل ألا يكون في غرفة نوم المراهق مذياع أو تلفاز أو انترنت لأن هذه تشجعه على العزلة عن أسرته ، وتكون مصدر إفسادٍ له .

مع كل ما ذكرنا من وسائل لا بد من الدعاء للأبناء والإلحاح على الله ـ تعالى ـ بأن يهديهم ويحفظهم ، فنحن معاشر الآباء مهما كنا ماهرين وحريصين نستخدم وسائل قاصرة ؛والهداية بيد الله ـ سبحانه ـ : ((إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)) (سورة القصص : ٥٦)



▪ التعامل مع مشكلات المراهقين

ينظر كثير من الآباء والأمهات إلى أولادهم المراهقين والمراهقات على أنهم مصدر للإزعاج وتعكير صفو الحياة ، وهذه النظرة ليست بعيدة عن الواقع في غالب الأمر ، لكن عليّ هنا أن أشير إلى نقطتين :

الأولى : هي أن معظم مشكلات المراهقين والمراهقات هي نتاج مرحلة المراهقة ، أي أنها تزول بزوالها ، لكن التثقف في كيفية التعامل معها يساعد على تخفيف وطأتها، وعلى عدم تحولها من شيء عابر ومؤقت إلى شيء دائم ومستمر .

الثانية : هي أن خبرة معظم الأهالي بالتفريق بين ما هو طبيعي من سلوكيات المراهقين وما هو غير طبيعي أو مشكل، ضعيفة للغاية، وهذا يعود إلى أن معظم الأسر لا تملك الحد المطلوب من الثقافة التربوية ، كما يعود إلى أن الأسر الملتزمة والراقية تكون حساسيتها نحو مشكلات أبنائها عالية جداً ، ولهذا فإنها تنزعج انزعاجاً شديداً تجاه بعض تصرفات أبنائها غير اللائقة، على حين أن الأسر الأخرى لا ترى في ذلك شيئاً يستحق التوقف والتكدر ، ولكن في مقاربة أولية نقول : إن السلوك يصبح مشكلاً إذا تكرر على نحو غير مألوف أو كان في نظر معظم الناس يعد شيئاً خطراً ،أولا يمكن السكوت عليه.

وبما أن مشكلات المراهقين ـ في نظر غالبية الناس ـ كثيرة ، فإني سأعرض لأهمها عبر النقاط السريعة الآتية :

تطرف المراهق ومشاكساته :

لا ينبغي أن نستغرب إذا وجدنا مراهقاً ميالاً إلى الغلو أو المجادلة حول شيء صغير أو مشاكسة والده أو والدته في أمر واضح ، وذلك لأن الاتزان والاعتدال من الأمور التي تأتي مع النضج والرشد ، أحد الآباء يقول : إن ابني شديد التطرف ، فهو إذا أحب شخصاً أو شيئاً أخذ في ذكر محاسنه مرات عديدة في اليوم مع المبالغة والإطناب ، وإذا أبغض شيئاً صار شاغلَه الأكبر ، وأخذ يصوِّره على أنه أسوأ شيء في الحياة ، وهذا يسبب لنا الكثير من الجدال معه ، وبعد كل مجادلة يصر على رأيه . فعلاً هذه وضعية كثير من المراهقين ، والسؤال الآن : لماذا يحدث هذا للمراهقين والمراهقات ؟

في اعتقادي أن هذا يعود إلى عدد من الأسباب ، منها :

١ ـ لدى المراهق شحنات عاطفية قوية جداً، وهو في الوقت نفسه لم يكتشف القدرة على محاكمة الأمور والتفكير في المحترزات والعواقب، وهذا يعود إلى أن الفص الأمامي من مخه ـ وهو المسؤول عن المنطق وتوقع النتائج والتخطيط والتنظيم ـ لم يكتمل بعدُ ، ولن يكتمل حتى يبلغ المراهق الخامسة والعشرين من العمر تقريباً

٢ ـ يحمل المراهقون في صدورهم قلوباً نقية وأرواحاً طاهرة ، وهذه مع ضآلة الخبرة ، تجعل منهم أشخاصاً مثاليين بل ثوريين ، وإن الفراغ الذي يجدونه وقلة المسؤوليات التي يتحملونها في الحياة، مما يساعد على تركيز اهتمامهم على الأشياء التي يتعاطفون معها والأشياء التي ينفرون منها ، وحين يدخلون معركة الحياة ، ويبدؤون في التفكير

بالوظيفة والأسرة والإنجاب يعودون إلى الاعتدال .

٣ـ ربما كان من أسباب تطرف المراهقين أنهم يلجأون إلى تبسيط الأمور حتى يستطيعوا التكيف معها ، ويضخِّمون بعض الأمور حتى يتخلصوا من عبء التفكير فيها وتحمل مسؤوليتها ، ولطالما كان التبسيط سبباً في ركوب المهالك وفي المخاطرة والتهور ، ونحن رأينا شباباً عليهم سيما الصلاح يريدون تغيير العالم ، وقد ارتكبوا في سبيل ذلك أخطاء فاحشة جداً ، عادت عليهم وعلى أسرهم وعلى المسلمين بأسوأ العواقب، ولو عرفوا تعقيدات المشهد العالمي لما أقدموا على ما أقدموا عليه .

٤ـ المراهق يتطرف ،ويجادل ،ويشاكس لأنه يريد أن يثبت لنفسه ولغيره أنه صار إنساناً مستقلاً ، ويمتلك رؤية خاصة ، ويجد في مبدأ: ((خالف تعرف)) وسيلة جيدة لذلك .

كيف نتعامل مع تطرف المراهق ؟

أ ـ إن الطريقة التي يتبعها الأب في التربية تترك تأثيرها السلبي أو الإيجابي في غلو أبنائه واعتدالهم ، هناك أب ربّى أبناء يتمتعون بالهدوء،وتشعر وأنت تستمع إليهم أنك تستمع إلى كبار راشدين ، وحين سئل ذلك الأب عن نجاحه في ذلك قال : الهداية أولاً من الله ـ تعالى ـ أما من جهتي فإنني كنت أركّز أنا وزوجتي على بعض المعاني الأساسية في مخاطبتنا للأبناء وفي نقاشنا معهم ، كما كنت قد اتفقت معها على أسلوب للتعامل مع شططهم ومبالغاتهم ، ومن ذلك ـ مثلاً ـ :

ـ كنا نقول لهم باستمرار : هناك أمور كثيرة قابلة للاختلاف ، والجدال ، ولهذا فلا بأس أن نختلف فيها ، ولكن بشرط ألا يسفِّه بعضنا بعضاً.

ـ كنت حين يحتدم الجدال بيننا في بعض الأمور، ويرتفع صوت بعض الأولاد ، أقطع ذلك بقولي لأحدهم : توقف عن الكلام ، وخذ نفساً عميقاً، أو أقول : لدينا الآن فاصل لمدة دقيقة ، وألتفت إلى زوجتي قائلاً : ما عشاؤنا اليوم ؟

ـ طالما قلت لأولادي : إن كل الناس وكل الأشياء وكل الأوضاع، لها سلبيات ، ولها إيجابيات، وحتى نراها على حقيقتها، فيجب أن نتعرف على إيجابياتها ، وعلى سلبياتها ، وأذكر أنني كنت أجد تعلق قلب أحد الأولاد بالحصول على شيء من الأشياء ، وكان يجتهد في إقناعي به ، وكنت أقول له : كلامك جميل ولكن أود أن تذكر أربع سلبيات له قبل أن أوافق عليه ، أو أرفضه .

ـ في مرات كثيرة كنت أوقف النقاش ، وأقول : صرنا نكرر الأفكار، وهناك منكم من تجاوز حدود المنطق ، وحدود الأدب ، ولن نبحث في هذا الموضوع قبل مرور ثلاثة أيام ، وهذه فرصة ليراجع كلٌّ منا موقفه .

ب ـ أحياناً يتطرف المراهق في آرائه أو في مواقفه بسبب وجود من يغذيه بالأفكار المتطرفة ، وكثيراً ما يحدث هذا في المرحلة الجامعية، ويرفض الأبناء عادة الإفصاح عن ذلك بسبب توصية من يلقنهم التطرف ، وهذا يحتاج منا إلى يقظة وحذر، فالمراهقون حين يتعرضون لعمليات غسيل دماغ مركَّزة يمكن أن يقوموا بأعمال كثيرة مؤذية ومضرة بالجميع .

ج ـ من مظاهر تطرف المراهقين المسارعة إلى اتخاذ القرارات الجادة ، وكم من مراهق اتخذ قراراً سريعاً بمقاطعة صديق له ، ومراهق سارع في اتخاذ قرار الدراسة في قسم من الأقسام العلمية في الجامعة

، وكم من مراهق قرَّر خلال ساعة أن يترك المدرسة بسبب ما سمعه من بعض أصدقائه.. الدواء الناجع في هذا الأمر يكون بإشراك أشخاص من خارج الأسرة في الحكم على ذلك القرار ، وقد ذكر أحد الآباء أن ابنه قرر أن يدرس في قسم علم النفس في الجامعة مع أنه حصل على الثانوية من الفرع العلمي، وحين ناقشه أهله في ذلك رفض مناقشتهم، وقد تبين أنه معجب جداً برجل يعدّ من الشخصيات العامة ذات الشهرة الواسعة ، ولهذا فهو يحب أن يدرس نفس تخصص ذلك العَلَم ، وهنا قال الأب : سوف نوافقك على ما تود دراسته بشرط أن تستشير فلاناً وفلاناً، و سمى له ثلاثة أشخاص من الأقرباء ذوي الخبرة في الشؤون الأكاديمية ، فإذا نصحك اثنان منهم بدراسة هذا التخصص ، فنحن معك .

يقول الأب : في النهاية سوف أسمح له بأن يدرس ما يريد لكن أحببت أن أعوِّده على استشارة الكبار والتأني في اتخاذ القرارات الحاسمة .

د ـ إن افتقار المراهق إلى الاتزان كثيراً ما يجعله يفقد التركيز في طروحاته ومجادلاته ، وهكذا فإن المراهق يبدأ حديثه مع والدته ـ مثلاً ـ بنقد لإصرار أبيه على أخذه معه لزيارة الأقرباء ، وحين تأخذ أمه في الدفاع عن وجهة نظر أبيه ، ينتقل إلى نقد أسلوب أخته في الضحك ، وأنها ترفع صوتها حتى إن أصدقاءه يسمعونها حين يكونون في زيارته ، ثم ينتقل إلى نقد والدته وأنها لا تقسم أعمال المنزل بين إخوته بالعدل .. وهكذا يندفع المراهق إلى تحويل نقطة الجدال الصغيرة إلى معركة تشمل جميع من في البيت . هنا يقف المربي بحزم في وجه ذلك الانتقال من موضوع إلى موضوع ، ويصر على أنه لن يناقش ابنه إلا في مسألة واحدة ، وفي جلسة أخرى يمكن التحدث في مسألة ثانية وهكذا...

٢ـ التأخر الدراسي :

نقصد بالتأخر الدراسي هبوط مستوى الطالب في التحصيل العلمي وفي الدرجات التي ينالها في الاختبارات المختلفة ، وهذا التأخر قد يكون شاملاً لجميع المواد ، وقد يكون في مادة أو مادتين ، ولا شك أن هذه المشكلة من أخطر المشكلات التي تواجهها الأسر في هذه الأيام ، وذلك لأن تكاليف الحياة باتت عالية جداً ، كما أن المنافسة المتزايدة على كل شيء قد أزاحت كل الأشياء العادية عن الطريق ، وتبقى كل المجالات مفتوحة أمام الأشخاص الممتازين والأشياء المتفوقة . إن قدرة المراهقين والشباب على بناء أسر في المستقبل مرتبطة بتفوقهم الباهر في دراستهم الثانوية والجامعية ، إذ إنهم من خلال التفوق يستطيعون الحصول على شهادة عالية وبالتالي وظيفة جيدة . ومع أن للتأخر الدراسي أسباباً عدة ، فإن الغباء والنقص في القدرات الذهنية الفطرية هو أول ما يفسر الآباء والأمهات أسباب تأخر أبنائهم في الدراسة ، مع أن ذلك السبب قليل الانتشار، وقد لا يشكل بين مجموعة الأسباب أكثر من ٥ ٪ وقد قام أحد الباحثين بدراسة على (٣١) طفلاً تمَّ اختيارهم من عدد من المدارس على أساس ارتفاع مستوى ذكائهم مع تأخرهم الدراسي ، وقد تبين بعد الدراسة أن التلاميذ جميعاً يعانون من الشعور بالنقص ، وبعضهم لم يكن يعرف أنه يتمتع بقدرات ذهنية ممتازة ، وبعد علاج هؤلاء الأطفال ، استطاع ثمانية وعشرون منهم أن يقوموا بإنهاء فترتين دراسيتين في فترة واحدة، كما استطاعوا أخيراً أن يرتفعوا بتحصيلهم بما يتناسب مع مستوى ذكائهم .أنا هنا أود أن أركِّز على أسباب التأخر الدراسي ذات الطابع النفسي والاجتماعي ، فهي في نظري الأكثر شيوعاً وتأثيراً ، ولعل من

أهمها الآتي:

أ ـ انخفاض الثقة بالنفس حيث يشعر المتأخر دراسياً أن الأعباء الدراسية الملقاة عليه أكبر بكثير من طاقته وقدراته ، كما يشعر أنه لا يستحق الكثير من التفوق والنجاح بسبب ظروفه وأحواله .

ب ـ يحترم غيره احتراماً مبالغاً فيه ، وهذا الاحترام ينقلب إلى تهيب من تحمل المسؤوليات ، ويصحبه قلق زائد عن الحد .

ج ـ الخجل من الكلام والوقوف أمام الطلاب ومحاورة الأساتذة، مما يجعل مشاركته ضعيفة وينعكس بالسلب على الفائدة التي يمكن أن يحصل عليها .

د ـ عدم وجود رغبة كافية في المواد التي يدرسها الطالب ، أو نفوره من الدراسة بسبب تصرفات بعض معلميه معه .

هـ ـ قد تؤدي الظروف الاجتماعية غير الطبيعية والمعتادة إلى إعراض المراهق عن المذاكرة والسعي إلى التفوق ، وعلى سبيل المثال فإن بعض أبناء الأثرياء جداً كثيراً ما يفكرون في عدم إكمال دراستهم بسبب التفكير في المشاركة في إدارة ثروات أهليهم ، أو الاعتقاد بوجود وفرة مادية كبيرة، لا يحتاجون معها إلى نيل الشهادات والبحث عن وظائف ،وحين تكون الأسرة فقيرة جداً فإن من الممكن لبعض أبنائها ألا يجدوا الحافز على المذاكرة والاجتهاد بسبب ما يغلب على ظنهم من عدم القدرة على إكمال الدراسة ، ولهذا فإنهم يفكرون في الانصراف إلى مهنة من المهن في وقت مبكر.

و ـ يتأخر المراهق دراسياً أحياناً لافتقاده الدعم والمساندة من أسرته، وإن من الثابت أن الرغبة في الدراسة كثيراً ما تُصنع صناعة من قبل الأهل والمعلمين ، وإن كثيراً من الأسر غير المتعلمة لا يكون لديها

الحرص على إكمال تعليم أبنائها، وبالتالي فإنها لا تحفزهم عليه .

ز ـ حين يصحب المراهق مراهقين كسالى ومن غير ذوي الطموحات العالية، فإن من المتوقع أن يتأثر بهم تأثراً كبيراً، فالصاحب ساحب وموجِّه للرغبات

كيف تتم معالجة التأخر الدراسي ؟

١ ـ من المهم أولاً أن يدرك الأبوان أنه إذا تفوق الولد الكبير تفوقاً باهراً، فإن هذا لا يعني أن يكون جميع إخوته قادرين على ذلك، إذ إن هناك فروقاً فردية بين الإخوة، وإن طموحات الأبوين حين تكون عالية جداً، فإن الابن قد يصاب بالإحباط ،لأنه لا يجد القدرة على مواكبتها وتلبيتها .

٢ـ ازرع في أذهان أبنائك منذ الصغر حيوية إكمال الدراسة حتى التخرج من الجامعة ، فهذا مهم جداً ، وعليك أن تقول دائماً: لن أسمح لأحد بترك الدراسة قبل أن ينتهي من الدراسة الجامعية .

٣ ـ اجعل تفوق أبنائك ضمن أولى أولو يأتك ،وهذا يتطلب منك أن تخطط لتوفير المال من أجل تعليمهم في مدارس وجامعات جيدة، ونحن نعرف أن التعليم الجيد صار مكلفاً جداً ، لكن التعليم الضعيف أعظم كلفة منه ، وإنما على المدى البعيد .

٤ـ إذا كانت للابن أو البنت شكوى من شيء صحي فعالجه، حيث ثبت أن ضعف البصر أو السمع كثيراً ما يكون سبباً في التأخر الدراسي.

٥ـ تكريم المتفوقين من الأبناء وتحفيزهم والإشادة بهم .

٦ـ توفير بيئة جيدة للدراسة ، وإذا أمكن أن يكون لكل ولد أو ولدين غرفة خاصة ، فهذا شيء جيد ..

٧ـ يجب أن نحذر من كثرة تكليف الأبناء بأعمال منزلية كثيرة تشغلهم عن القيام بواجباتهم الدراسية .

٨ـ تحدث أمامهم دائماً عن عظماء هذه الأمة وعن عظماء الأمم الأخرى، وإذا استطعت أن تساعدهم على التركيز على علم أو تخصص معين، فافعل ، فهذا مهم جداً اليوم .

٩ـ الدعاء للأبناء مطلوب في كل الأمور، ويجب ألا نمل ، ولا نستبطئ الإجابة .

١٠ ـ شيء جيد أن نشجع الابن على تشكيل مجموعة دراسية صغيرة (٣ أو ٤) بشرط أن تتسم هذه المجموعة بالاستقامة والجدية ، فالدراسة مع الأصدقاء ممتعة ومفيدة ، هيِّئ لهذه المجموعة مكاناً في بيتك ، ورحِّب بهم وأكرمهم .

١١ ـ يرى المراهقون أن النوم المبكر يعبر عن عدم النضج أو عن نقص في الرجولة ، وكثيراً ما يسخرون من الأصدقاء الذين ينامون في وقت مبكر، وربما كان ذلك نوعاً من الانتقام من الضغوط التي مورست عليهم وهم صغار كي يناموا مبكرين ، المراهق يحتاج إلى النوم أكثر من غيره ، فقد توصل باحثون قبل ثلاثين سنة إلى أن المراهقين يحتاجون إلى نوم عشر ساعات في اليوم ، لكن معظمهم لا ينامون إلا ست أو سبع ساعات ، وإن السهر الطويل ، يقلل من ساعات النوم ، ويجعل الطالب يذهب إلى مدرسته وهو غير مستعد للتعلم على نحو جيد،لأن الدماغ لم ينل حظه من الراحة ، وتبين كذلك أن نقص النوم يتسبب في تقلب المزاج ، وقد يؤدي إلى الاكتئاب .

علينا أن نكون حازمين في تحديد وقت لذهاب جميع أهل المنزل إلى فراشهم حتى يتمكنوا من الاستيقاظ إلى صلاة الفجر ، وحتى يعيشوا

حياة صحية وصحيحة .

٣ـ خشونة المراهقين ومنازعاتهم :

يقول أحد الآباء : لا أدري ما الذي حدث لابني؟ فقد كنت أراه لطيفاً للغاية حين كان في التاسعة ، ولا أنسى حين كان يأتي من خلف ظهري ليضع يديه على عينيه ليختبر قدرتي على معرفته ، ولا أنسى حين كان يهجم عليَّ ويقبلني من غير أي مناسبة ، كما أنه كان ودوداً جداً مع والدته ، ولم يحدث أبداً أن سمعت منه كلمة نابية ... أما اليوم فقد تغير كل ذلك ، وقد وصل سوء الأمور إلى حد التمتع بضرب أخته الصغيرة ، وهو بالإضافة إلى ذلك دائم الجدال والنزاع مع أخيه الذي يكبره بسبع سنوات ، وحين يختلفان فإن ما نخشاه هو العراك بالأيدي والقذف بالأشياء ، بل إن هذا حدث مرات عديدة، كما أن والدته سمعته من أيام وهو يتكلم بكلمات نابية مع أحد أصدقائه ... فعلاً إنني قد خسرت ابني ، وأخفقت في تربيته !!.

هذه الشكوى تكاد تكون عامة ، حيث إن معظم الآباء يشعرون بأن أبناءهم في مرحلة المراهقة قد فقدوا نعومة التعامل التي كانوا يتصفون بها ، بل إن بعض الآباء يقول : إن ابني صار عدوانياً بما لا يطاق ، وبما هو غير معهود في محيطنا .

لماذا يحدث ذلك ؟

لو قطعنا النظر عن بعض الأسباب الشخصية والخاصة التي يمكن أن تكون لدى فئة قليلة من المراهقين ، فإن في إمكاننا أن نذكر في الجواب على هذا التساؤل الآتي :

١ـ إن الاحتكاك بين الإخوة في المنزل والجدال والنزاع، من الأمور الطبيعية والموجود في كل بيت تقريباً ، وسببه حرص كل واحد على

إثبات ذاته بالإضافة إلى التنازع على أمور مشتركة في المكان والأثاث والأدوات ، كما أن عدم وضوح مسؤولياتهم وواجباتهم تجاه الأسرة بشكل كافٍ يؤدي أيضاً إلى تنازعهم ، ولا ينبغي أن ننسى اختلاف الأمزجة وغيرة بعضهم من بعض بسبب تفوق أو حظوة عند الأبوين... إن كل هذا يؤدي إلى النزاع بين الأبناء ، وهو طبيعي ما لم يؤد إلى الحقد أو الإيذاء الجسدي.

٢ـ توفِّر الحياة الأسرية للأولاد جواً آمناً ، وهذا يغريهم أن يتخذوا من المنزل مكاناً للتدرب على عرض العضلات وعلى المفاوضة والمجادلة واختبار ردود الأفعال على تصرفات معينة ، والحقيقة أننا جميعاً نفعل هذا ، فنحن نتحفظ في كلامنا وتصرفاتنا كثيراً حين نكون خارج المنزل ، ولهذا فلا داعي للقلق .

٣ـ حين يشعر الولد بالإرهاق ويستنفد طاقته الروحية خلال النهار فإن من المألوف أن تكثر المنازعات بينه وبين بعض أهل بيته في المساء، وهذا شيء يمكن إيجاد حل له

٤ ـ يدل بعض الدراسات على أن (١٠ ٪) ممن هم في سن (الخامسة عشرة) لديهم عدوانية بشكل ظاهر . وهذه العدوانية تكون عند الذكور أوضح منها لدى الإناث ، كما أن من الدراسات ما يُفيد أن العدوانية لدى المراهق كثيراً ما تكون رد فعل على الإحباط الذي يشعر به ، وهكذا كلما ساءت أحوال الأسرة كان لنا أن نتوقع ارتفاع درجة العدوانية والتنمر لدى أبنائها .

٥ـ كثيراً ما يكون أسلوب تربية الأبوين للأبناء هو السبب في غلاظتهم مع بعضهم ، حيث إن من الواضح أن الأب حين يُمعن في تدليل ابنه وغض الطرف عن أخطائه ، فإنه بذلك يشجع لديه

السلوك العدواني، فالمراهق كثيراً ما يفسِّر تسامح أهله معه على أنه ضوء أخضر في الاستمرار على ما هو عليه ، كما أن إيقاع عقاب كبير على ذنب صغير يثير روح العداء للأسرة لدى المراهق ، وكثيراً ما يعبر عن تلك الروح بإيذاء إخوته الصغار

٦ـ غياب الوالد عن المنزل مدداً طويلة قد يدفع بالمراهق إلى التمرد على والدته حتى يحقق ما يريد ، وهذا يجعله يتعود المشاكسة والتطاول على إخوته ، وعلينا أن لا ننسى الخصام والتشاحن بين الأبوين ، فهو يجعل الأبناء في حالة من التوتر ، حيث تصبح استثارتهم سهلة ولأتفه الأسباب .

– التعامل مع خشونة المراهقين ونزاعاتهم :

١ـ حين يريد المربي معالجة مشكلة عند أولاده ، أو يريد منهم أن يتخلصوا من الإسفاف في خطابهم .. فإن عليه أن يتأكد أولاً من أنهم لم يتعلموا ذلك من واحد من أفراد الأسرة ، لأننا نعرف أن الأطفال والمراهقين يتشربون من محيطهم الكثير من الأخلاق والعادات الجميلة والسيئة ، وأذكر أن أحد الآباء أنَّب ابنه على تلفظه بكلمة غير لائقة ، فما كان من الابن إلا أن قال له : لما تشاجرتَ مع والدتي قبل أسبوع تلفظتَ بها وبكلمة أخرى أشنع منها، قال الأب : كنت غاضباً ، فنطقت بما نطقت به دون أن أشعر . قال الابن : وأنا كنت غاضباً أيضاً !.

٢ ـ ينشأ كثير من الجدال والنزاع بين الإخوة بسبب الفراغ الذي يعانون منه ، ومن هنا فإن على الوالدين البحث عما ينشغل به الأولاد عن المشاكسة ؛ وإن إرسالهم إلى حلقات تحفيظ القرآن ، وجعل بعضهم ينخرط في عمل جزئي مأجور أو في عمل تطوعي ، أو في مساعدة

أبيه في مهنته وكسب رزقه ، وترتيب برنامج يومي لبعضهم كي يزور بعض المكتبات العامة ... إن كل هذا يخفف من التوتر بين الأشقاء ، ويجلب لهم نفعاً دنيوياً أو أخروياً، على نحو أشرت إليه قبل قليل.

٣- حين تكون مساحة منزل الأسرة ضيقة، وتكون الغرفة الواحدة مشتركة بين اثنين أو ثلاثة من الأولاد ، فإن لنا أن نتوقع ـ كما أشرت من قبل ـ حصول النزاع على الكثير من الأمور ، ومن هنا فإن تحديد ما يمكن لكل ولد أن يستخدمه من الأدوات وإيجاد نظام يحدد المسؤوليات والواجبات ،مما يقطع الكثير من المنازعات ، فالغموض هو أبو الفوضى والتصادم .

٤ـ لنترك للأبناء فرصة لحل خلافاتهم وتنظيم شؤونهم دون مساعدة منا في بعض الأحيان ، وإن الآباء الذين أدمنوا التدخل في خصومات أبنائهم ، قد أعادوهم من حيث لا يشعرون إلى عهد الطفولة ، نعم التدخل ينبغي أن يكون حازماً وسريعاً إذا اشتد النزاع إلى حد إمكانية حدوث إيذاء جسدي أو إتلاف بعض الممتلكات.

٥ـ لابد أن نرسِّخ في نفوس الأبناء والبنات أهمية تعود استخدام الألفاظ اللطيفة مع كل الناس ، داخل الأسرة وخارجها ، ومن تلك الألفاظ : (عفواً) ، (شكراً) ، (أنا آسف) ، (لم أقصد إزعاجك)، (لم أنتبه) ، (أنت على حق) ، (هذا يشرِّفني) ، (لطفاً) ، (هذا عظيم) ، (سامحتك) ،

إن اللغة تصنع المشاعر وإن الكلمات والتعبيرات الحلوة والأنيقة تولِّد مشاعر جميلة عند قائلها وعند سامعها ، المهم أن تصبح هذه الكلمات جزءاً من نسيج لهجة المراهق وبعضاً من عاداته الكلامية .

٦ـ أحياناً تكون الأسرة هي السبب في خشونة بعض أبنائها ، حيث

إن من الملاحظ أن المقارنة السلبية بين الأبناء :(أخوك مجتهد أكثر منك)، (أنت لا تفعل كذا ، بينما أخوك فلان يفعله) ، (انظر كيف نجح أخوك بتفوق وأنت رسبت) ... إن هذه التعبيرات تُشعل المنافسة بين الإخوة ، وتدفع إلى أن يسيء الولد إلى أخيه وإلى من أشعل المنافسة أيضاً ، ولهذا فلا بد من الانتباه لذلك .

٧ـ حدد للولد بدقة الألفاظ النابية التي من غير المقبول استخدامها في أي ظرف من الظروف ، ولا تكتف بالعموميات ، فجهاز الفهم لدى المراهقين ، لا يساعدهم على استيعاب كثير من التفاصيل .

٨ ـ إذا تمادى المراهق في إيذاء إخوته أو في استخدام الألفاظ النابية أو أي سلوك آخر شائن ، فلا بد من استخدام العقوبة الرادعة ، لكن بحكمة ووعي .

٤ـ ضعف الإحساس بالمسؤولية :

لدينا نحن الكبار شعور متزايد بأن شعور أبنائنا بالمسؤولية تجاه الكثير من الأمور أقل بكثير من شعورنا حين كنا في مثل أعمارهم ، وأعتقد أن هذا الشعور لا يبتعد كثيراً عن الصواب ، فالجيل الحالي يقضي نحواً من ٤٠٪ من عمره وهو يتعلم ، وخلال فترة تعلمه يتلقى الكثير من التدليل والعناية ، حيث تظل الأم مدة طويلة من حياتها وهي تقدم الخدمة والرعاية الكاملة لأبنائها المراهقين والشباب ، كما أن من الملاحظ أن درجة الأنانية والاستئثار بالأشياء قد ارتفعت لدى الجيل الحالي ، وهذا قد يعود إلى التقدم الحضاري الحادث الآن ، والذي من شأنه توسيع إدراك الناس للمتعة الشخصية والمصلحة الخاصة ، وينال المراهق من هذا أوفر النصيب .

مظاهر ضعف الشعور بالمسؤولية لدى المراهق:

تقول إحدى الأمهات : هذه المراهِقة أرهقتني بكثرة إهمالها لواجباتها، فهي تخرج إلى المدرسة وقد تركت غرفتها وهي أشبه بساحة حرب ، أبواب الخزن جميعاً مفتوحة ، الكثير من الملابس على الأرض ، وبعضها على السرير ، والأضواء كلها مضاءة ، والكتب والدفاتر منشورة في زوايا الغرفة ، إنك تستطيع القول : لا شيء موجود في مكانه ، وهذا يعود إلى أنني أحاول إيقاظها في الوقت المناسب للاستعداد للذهاب إلى المدرسة ، لكنها لا تستيقظ إلا في اللحظة الأخيرة بسبب طول سهرها، أما الهاتف فله حكاية أخرى ، وأما غسيل الصحون ومسؤوليتها فيه فتلك قصة محزنة ، إني أتكلم كثيراً معها ، وهي تهز رأسها بالإيجاب ، وأقول : هذه المرة سوف تفعل ما أقوله لها ، لكن بعد نصف ساعة تنسى كل شيء ، وكأننا لم نتحدث بأي شيء ! .

ويقول أحد الآباء : حين كان ابني في التاسعة كنت أحدثه في أمور صغيرة ومحدودة ، وكان يستمع ، ولا يعقل كثيراً مما أقوله ، وحين صار في السابعة عشرة بدأت أحدثه عن أمجاد المسلمين الغابرة وإنجازاتهم التاريخية ، وكنت ـ بوصفي مدرساً للتاريخ ـ أحاول أن أوصل له رسالة ، مضمونها : التاريخ يعلمنا أن الحضارات تنهار بسبب الأخطاء الفادحة ، وإذا أردنا أن نبني حضارة الأمة من جديد، فلا بد من تجنب الأخطاء الأخلاقية والاجتماعية والسياسية التي وقعنا فيها، وكنت أحاول شرح تلك الأخطاء في مناسبات مختلفة، وأتحدث معه طبعاً عن دور الشباب في خدمة البلاد وخدمة الأمة ودورهم في تشييد حضارة جديدة ... وكان ابني يستمع ـ فيما يظهر لي ـ باهتمام ، لكن لا يُعلِّق على كلامي ، ولا يشاركني الحديث ، وذات

يوم كنت جالساً معه ، فقال أبي : قد ربيتني على الصراحة والصدق، وأنا سأقول لك بصراحة : إن جلوسنا مع بعضنا صار مملاً جداً ، وأنا أحاول أن يكون قصيراً قدر الإمكان ، أنت يا أبي في واد وأنا في واد آخر ، أنت تريدني أن أكون مصلحاً وبانياً لنهضة أمة ومسؤولاً عن ترقيع ما يمزقه الآخرون، وهذا لا يدخل في حساباتي اليوم لا من قريب ولا من بعيد ، أنا الآن مشغول بثلاثة أمور : الحصول على حاسوب جديد ، وبلوغ الثامنة عشرة حتى أحصل على رخصة قيادة لأني أحب ركوب السيارات ، وحل مشكلتي مع ثلاثة من أصدقائي المتحالفين ضدي !

يقول الأب : كنت مسروراً بمصارحته، وكنت محبطاً من اهتماماته ومنزعجاً من سوء تقديري لموقفه!

إن شكوى الآباء والمعلمين من ضعف شعور المراهقين والمراهقات بالمسؤولية مستطيلة في الزمان ومستعرضة في المكان ، وأعتقد أن شيئاً من التبصر في الموضوع مع شيء من الجهد سوف يجعل وطأة المشكلة أخف .

كيف نبني الشعور بالمسؤولية لدى المراهقين :

١ـ يعني الشعور بالمسؤولية إحساس المرء بأنه يتحكم في سلوكه ، وأن أعماله لها عواقب محددة ، فالتصرفات الخيِّرة والصحيحة لها عواقب حسنة وممدوحة ، والتصرفات السيئة لها عواقب خطيرة ومذمومة، كما يعني الشعورُ بالمسؤولية إحساسَ المرء بواجباته ومسؤولياته الدينية والاجتماعية ، ويأتي في قمة الشعور بالمسؤولية إحساس المرء بما عليه أن يفعله تجاه مستقبله وأهدافه .

٢ـ من المهم أن ندرك معاشر الآباء أن المراهق حديث عهد بمرحلة كنا

فيها بالنسبة إليه كل شيء حيث كان يعتمد علينا في الصغيرة والكبيرة، والآن هو يدعي أنه يعرف كل شيء، ويحاول أن يكون له رأيه في كل شيء، إنه يريد أن يخرج من الشرنقة، بل يظن أنه خرج منها، لكننا نعلم علم اليقين أن ذلك يحتاج إلى وقت، ولهذا فإن وعيه بما ينبغي عليه القيام به ،يتكون على نحو متدرج وبشكل بطيء، فلنصبر، ولنحتسب، ولنكن الإناء الكبير الذي يتسع لماء الإناء الصغير.

٣ـ الشعور بالمسؤولية لا ينمو تحت المتابعة الشديدة، وتحت الضغط والإكراه، وإنما ينمو ويترعرع في فضاء الحرية، أعطه الحرية، وثق به، وعامله على أنه إنسان موثوق ومحترم وقادر على إنجاز ما يكلَّف به، وعلى سبيل المثال: اطلب منه التخطيط والإعداد لرحلة قصيرة للأسرة، واطلب منه شراء بعض الأشياء للمنزل، وكلفه بإعداد مادة للتحدث بها في مجلس الأسرة الشهري، واعهد إليه برعاية أخيه الصغير المتعثر في دراسته ،و فوض إليه إدارة ميزانية الأسرة لمدة أسبوع ...

٤ـ حين تكلفه بالقيام بشيء، فتأكد أنه مغتبط بذلك التكليف، ومتقبل له، وعليك أن تدرك أنه سيخطئ، لأنه مازال يتعلم، ولهذا فلا تسحب منه التكليف إذا وقع في خطأ، ولا تمتنع عن تكليفه بأمور أخرى، وإنما وضح له برفق لماذا أخطأ، وكيف يتلافى الخطأ في المستقبل، وليكن ذلك سراً بينك وبينه، وإذا حدثته عن فشلك في بعض ما كُلِّفت به يوم كنتَ في سنه فسيكون ذلك ممتازاً

٥ـ حين يقع في مأزق، فساعده في المرة الأولى، وقل له: إذا وقعت فيه مرة أخرى، فلن أساعدك، وقد ذكر أحد الآباء أن ابنه نسي أن يأخذ معه أوراق مشروع كلِّف به، فرجع إلى المنزل، وأحضرها له، وقد

تكررمنه نحو هذا ثلاث مرات ، وفي الرابعة قال له : لن أحضرلك مانسيتَه ، وعليك أن تتحمل العواقب، وفعلاً حرمه المعلم من درجة أحدالواجبات، وأخذ من ذلك درساً بليغاً

٦ـ اشتر له ساعة منبهة واجعله مسؤولاً عن وقت استيقاظه لصلاة الفجر والذهاب إلى المدرسة وكل المواعيد المهمة ، إن هذا سوف يجعله يتحمل مسؤولية عدم استيقاظه في الوقت المطلوب وتأخره عن أعماله .

٧ـ درِّبه على التخطيط لوقته ، ولا سيما ما يتعلق بالدراسة وكتابة الواجبات، وشجعه على أن يكتب المواعيد المهمة والمناسبات الخاصة، وحثه على أن يكون معه دائماً في جيبه قلم وورقة لكتابة الأفكار والخواطر والحِكَم التي يمكن أن يلتقطها من هنا وهناك ؛ إذ إن هذا مما يقوي لديه الشعور بالمسؤولية .

٥ـ غفلة المراهقات :

لو نظرنا في معظم الأخطاء التي يقع فيها الناس لوجدنا أنها تعود ـ في أحيان كثيرة ـ إلى أحد أمرين : إما الجهل وإما الغفلة ، وإن هذين الأمرين بالضبط هما السبب في تورط كثيرمن الفتيان والشباب في الكثيرمن المشكلات . على مدار التاريخ كان هناك من يستغل المرأة بسبب ضعفها أو حاجتها أو قلة خبرتها ، واليوم تجاوز هذا الأمر كل الحدود المتخيلة بسبب ما وفرته وسائل التقنية الحديثة من وسائل للاتصال والتواصل بين الجنسين ، ولعلي هنا أحاول أن أوضِّح لماذا يقع كثير من الفتيات في شباك كثير من الفتيان ، وذلك عبر الإشارات السريعة الآتية :

١ـ تنضج عاطفة الحب لدى الإناث قبل نضجهاعندالذكور ، كما أنها تكون أخصب وأقوى ، ولهذا فإن وعي الفتاة يتفتح على الجنس الآخر

في وقت مبكر نسبياً ، مما يجعلها مؤهلة للاصطياد ، وفي بلاد كثيرة تصبح الفتاة زوجة وهي في الثالثة عشرة ، على حين أن الفتى يكون مشغول الذهن بإكمال دراسته أو العثور على عمل أو جمع المال من أجل تأسيس بيت الزوجية .

٢ـ لدى الفتيات درجة عالية من الصدق والإخلاص ، ولديهن ميل شديد للتضحية ، وكم من فتاة استمرت في علاقتها مع شاب على الرغم من أنها اكتشفت أنه شخص سيِّئ ، وأنه على علاقة مع فتيات أخريات ، استمرت لأنه أقسم لها الأَيمان أنه لا يستطيع الحياة من غيرها ، وأنه يُعذَّب إذا لم ترد على اتصالاته ... وقد عرف الشباب الماكر والمحترف للتحرش وإقامة العلاقات المشبوهة هذه الحقيقة ، وصاروا يستغلون الفتيات على أساسها ، إنه استغلال بشع ورخيص لكرم الفتيات واستجابتهن لمعاني الشهامة والمروءة المركوزة في أعماقهن !

٣ـ ليس للفتيات خبرة حسنة في الحياة ، وما تموج به من مستجدات، ودائرة اطلاعهن محدودة بحدود الأسرة وعدد قليل من الصديقات، وهذا يجعل التغرير بهن سهلاً ، وتذكرني هذه الوضعية بالحكمة البليغة للشريعة الغراء حين جعلت شهادة المرأة على النصف من شهادة الرجل في كثير من الأمور ، حيث يقال : إن غلبة العاطفة على المرأة مع قلة خبرتها في الحياة تجعل كفاءتها في أداء الشهادة على وجهها أقل من كفاءة الرجل .

٤ـ يدل بعض الدراسات على أن الرجل يتكلم ـ في المتوسط ـ ما يقرب من ثمانية آلاف كلمة في اليوم على حين أن المرأة تتكلم ما يقرب من ثلاثة عشر ألف كلمة ، فالمرأة تحب أن تتكلم ، وتتشوق بشدة إلى

من يستمع إليها ، وهذا ما أصبحت الدردشة على (الإنترنت) توفره بقوة .

٥ـ لدى معظم فتياتنا هشاشة روحية وفكرية مفزعة ، قلوب خاوية، وأهداف وطموحات غامضة أو ذابلة أو مفقودة ، يضاف إلى ذلك فراغ كبير لا تعرف الفتيات كيف يملأنه بشيء نافع ومفيد .. هذا كله دفع بكثير منهن إلى قبول التحدث مع الشباب ، بل المبادرة إلى ذلك مع الأسف الشديد !

من أساليب الشباب في اصطياد الفتيات :

أ ـ الظهور بمظهر التقيِّ الورع وذلك حتى يزول ما لدى الفتاة من مخاوف ، وقد أرسلت لي إحدى الفتيات تقول : إنها كانت تكتب إلى أحدهم عبر (النت) ويكتب لها ، وكان يقول لها : انتبهي من أن نقع في أي شيء لا يُرضى الله ـ تعالى ـ ومن أجل الحيطة أقول لك : إذا كنت رجلاً فعاملني على أنني امرأة ، والزم كامل الأدب في خطابك ، وإذا كنت امرأة فعامليني على أنني رجل أجنبي ، وقد اطمأنت فعلاً الفتاة ، واستمر الأمر أسابيع ، وكان الشاب يُظهر من الذوق واللطف وفهم الحياة والترفع عن السفاسف الشيء الكثير إلى أن تعلق به قلب الفتاة، وصارت لا تستطيع أن تنام الليل إذا لم يرسل لها شيئاً ، أو لم يرد على رسالتها ، وبعد مدة بدأ الحديث عن الطموحات والآمال والتطلعات، وفهمت من كتابته أنه يطمح إلى أن يصبح طياراً حربياً، وقالت هي: إنها تحب أن تتخصص في التعليم المبكر ، وأنها تحب التدريس في رياض الأطفال وهكذا فهمت أنه رجل وفهم هو بعض القرائن أنها امرأة ، وبدأت مرحلة جديدة ، مرحلة أحلام بناء البيت

السعيد والعيش المشترك، وصارت الأحاديث تدور في ذلك الفلك إلى أن قال لها: إنني أحب أن أخطبك من أهلك، ولكن قبل ذلك فأقترح أن أراك وترينني في مكان عام، وتواعدا على اللقاء في أحد الأسواق الكبيرة، وتم ذلك، وازداد تعلق الفتاة به، وشعرت أن هذا أفضل إنسان يمكن أن يتقدم إليها، لكن بعد توفر الظروف المناسبة، وبعد مدة صارت تركب معه في السيارة، ويطوفان شوارع المدينة، وذات يوم ابتعدا قليلاً خارجها، وهناك التقط لها بعض الصور، وفعلت مثل ذلك، وبعد هذا راودها عن نفسها فاستنكرت، وصاحت وكان بقربهما بعض الناس، فخاف الفتى، وكف عن ذلك وأرجعها إلى بيت أهلها، لكن المشكلة أنه ظل يلتقي بها رغماً عنها وإلا فالصور موجودة والمكالمات مسجلة والفضيحة سهلة، قالت: فكيف أتصرف الآن؟ وبمن أستعين على الخلاص مما أنا فيه؟

ب ـ أحياناً يُقدِّم الشاب نفسه للفتاة في صورة الشخص الأنيق المرهف الحس الودود الذي يحترم مشاعر الآخرين، ويحاول التفاهم معهم، إنه الشاب الذي يجمع بين الشهامة والمعاصرة والانفتاح .... وهو يعبر عن كل ذلك بشيء من الشعر الشعبي وشيء من الكلام المنمَّق المملوء بالأخيلة الجميلة ... لأنه يعرف ما يثيره الكلام العذب الشاعري في عقول الفتيات وقلوبهن، وإذا كان الأسلوب الأول يستخدم مع الفتيات المحافظات واللواتي ينتسبن إلى أسر متدينة، فإن الأسلوب الثاني يصلح للفتيات الأقل تديناً، والأكثر تشوقاً إلى الحداثة والانفتاح، وليس اكتشاف الشباب لهذين النوعين من الفتيات بالأمر الصعب.

جـ ـ الأسلوب الأخير هو أسلوب الابتزاز والتهديد حيث يستغلُّ

الشاب هفوة ما لإحدى الفتيات ، أو يحصل على صورة لها ،أويحصل على هاتفها أو بريدها الالكتروني أو .... وهو يعرف كيف يستفيد من ذلك ، وكم من فتاة وجدت نفسها في مصيدة خطيرة دون أن تعرف كيف تم ذلك ، لكن غفلتها وعدم خبرتها بأساليب الشباب المتهتك، هي في الغالب السبب في ذلك .

بعض الشباب يقصدون قصداً إلى الإيقاع بالفتيات المتدينات والمحافظات لأن الواحد منهم يريد أن يثبت لمن حوله أنه قادر على إغواء أي فتاة ، أو كما يقول أحدهم : الجميع تحت قدمي !

تنبيه الفتاة من غفلتها :

لو رجعنا إلى المستشارين الأسريين لوجدنا لديهم عشرات الألوف من الشكاوي والاستشارات الواردة من مراهقات وشابات تورطن في علاقات كتابية أو كلامية أو ما هو أكثر من ذلك ، والكل يبحث عن مخرج ، ويخشى من سوء العاقبة ، لكن نحن نعرف أن الدخول في الأزمات كثيراً ما يكون سهلاً ، أما الخروج منها فقد يكون مستحيلاً، وقد يكون ممكناً لكن بعد خسائر ومنغِّصات . علينا الآن أن نتحدث عن مهمات الأسرة ـ ولا سيما الأم ـ في حماية ابنتها مما يمكن أن يترتب على غفلتها من مخاطر ، وكنت أشرت إلى شيء من ذلك عند الحديث عن حماية المراهقين من مخاطر (الإنترنت) وأضيف إليه هنا الآتي :

١ ـ حين تكون معاني الإيمان والتوحيد والحب لله ـ تعالى ـ ضعيفة في النفوس، وحين تكون العقول خالية من المثل العليا والتشوف إلى المعاني السامية وتحقيق الإنجازات العظيمة ، فإن المتوقع حينئذ أن تسعى الفتاة إلى ما يملأ عقلها وقلبها ، وهي إذ تحاول ذلك تعثر

على الصالح والطالح والمناسب وغير المناسب ، ومن هنا فإن من المهم اعتماد المبدأ العظيم: ((درهم وقاية خير من قنطار علاج)) إن الأسرة المسلمة بما تتنفسه من آداب وأخلاق وتواصل جميل ، وبما هي منخرطة فيه من برامج ومشروعات ، وبما تتطلع إليه من نجاحات وإنجازات ... توفر لأبنائها مظلة أمن وأمان من كثير من العواصف والزوابع والمنعطفات الخطيرة ، ولهذا فإن إصلاح أحوال الأسرة والتزامها بمنهج الله ـ عز وجل ـ والتصاقها برسالة هذه الأمة وهمومها يشكل حصناً دينياً وأخلاقياً وتربوياً فريداً .

٢ـ تربية المراهقات أسهل بكثير من تربية المراهقين ، والأخطاء التي يقعن فيها أقل وأصغر من الأخطاء التي يقع فيها المراهقون ، لكن وضع الفتاة شديد الحساسية ، حيث إن معظم الأمم تجعل من المرأة مناطاً لشرفها ، كما أنها تجعل الأمهات أمينات على ثقافة الأمة، وتزداد حساسية وضعية المراهِقة في القرى والبيئات الضيقة حيث يراقب الناس بعضهم بعضاً بمتابعة شديدة ، وحيث تكثر الشائعات والأقاويل ، وهذا يدفع بالأبوين إلى الحرص على البنات أكثر من الذكور ، وفي هذا نوع من المجاراة للأعراف والأوضاع السائدة ، والمطلوب هو الحرص والاهتمام بالفتيان والفتيات ، ومنح الجميع قدراً متساوياً من الرعاية والعناية .

٣ـ يدل كثير من الدراسات والوقائع على أن اندفاع المراهقات والشابات نحو البحث عمن يتحدثن ، أو يقمن نوعاً من العلاقة معه، إنما يكون بسبب الظمأ العاطفي الذي يشعرن به ، وكان المرتجي من الآباء والناضجين في الأسر أن يقوموا بإرواء ذلك الظمأ ، لكن معظم هؤلاء غير واعين بما عليهم القيام به أو غير مهتمين ، ومن

هنا فإن من المهم جداً غمر المراهقات بالكثير الكثير من العطف والحنوّ والحنان، بالإضافة إلى التشجيع والتقدير والسؤال عن الحال والتواصل الشفيق.

٤ـ تعامل الأبوين مع أولادهم ينبغي أن يقوم على الثقة، وليس على الشك والارتياب، لكن علينا أن نفرِّق بين هذا وبين الغفلة أو اللامبالاة، حيث إن الوضعية الصحيحة في هذا الشأن هي أن نراقب ونتابع عن بُعد ودون تدخل مباشر، حتى لا نفاجأ بمشكلات صعبة ونحاول إصلاح ما فات أوان إصلاحه.

٥ ـ أرجو أن تنتبه كل فتاة إلى الأمور الآتية:

أ ـ الحصول على رقم الهاتف كثيراً ما يشكِّل بداية لمشكلات كثيرة، ولهذا فإن على البنت أن لا تعطي رقم جوالها أو هاتف منزلها لأي كان إلا إذا كانت واثقة تمام الثقة من الشخص الذي تعطيه إياه، وبعد التأكيد على أن لا يعطيه لأحد.

ب ـ لا تقبلي شريحة جوال من أي صديقة ولأي سبب من الأسباب حيث إن بعض الشباب يرسلونها مع قريباتهم ليصطادوا بها فتاة بريئة.

جـ ـ الحذر كل الحذر من إرسال صورتك الشخصية لأي أحد، حتى الصديقات لأنك لا تعرفين من يدخل إلى حاسباتهن من الأهل والأقرباء.

د ـ لا تضعي أي صور على حاسبك ولا على جوالك، حيث إن الجوال قد يُسرَق وقد يضيع، ويقع في يد أشخاص سيئين، كما أن بعض المحترفين (الهكر) يخترقون أجهزة الحاسوب، ويطلعون على الملفات والصور.

هـ ـ إذا جاءتك رسالة من مجهول يطلب منك محادثة أو أي شيء،

فأحسن طريقة للخلاص منه هو عدم الرد والتجاهل التام ، واحذري من الاعتذار والنقاش .

و ـ لا تعط معلومات عن شيء خاص بك ، مثل الاسم والعمر والطول والوزن ولون العينين والشعر ...

ز ـ على الشبكة العنكبوتية ما يقرب من مئتي ألف متجول يبحثون عن المغفلات ، فلا تكوني واحدة منهم .



الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمة تتم الصالحات وبعد : فإن ما يمكن أن يُكتب حول المراهقة والمراهقين شيء كثير جداً ، لكن حاولت أن لا يتضخم حجم الكتاب كي تكون قراءته سهلة بالنسبة إلى الآباء والأمهات الذين لا يجدون الكثير من الوقت للقراءة ، كما أني حاولت أن يكون الأسلوب مبسطاً ومباشراً وزاخراً بالأمثلة والوقائع ، حتى تتمكن شريحة واسعة من القراء استيعابه ولا يخفى أنني رسمت صورة رمادية للمراهقين ، حيث إن كثيراً منهم هم أفضل من الانطباع الذي كونته عنهم، وقد كان هذا من أجل مساعدة الأسرة التي تعاني كثيراً مع أبنائها، وإني لأرجو الله ـ تعالى ـ أن تكتمل هذه السلسلة بكتاب عن أهم مشكلات الأطفال وكيف يمكن للأبوين التعامل معها ، والله ـ تعالى ـ الهادي إلى الصواب ، والموفق لكل خير ، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله، وسلَّم تسليماً كثيراً .



فهرس الموضوعات





